

تاريخ

دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند

دكتور جمال الدين الشيال

أستاذ التاريخ الإسلامى
عميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية «سابقاً»

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٢٦٢٧٧

**حقوق الطبع والنشر محفوظة للناسر
مكتبة الثقافة الدينية**

تقدمة

دعم قيام إمبراطورية المغول الإسلامية في الهند مركز الإسلام كقوة حربية لها حسابها في العالم في القرن السادس عشر ، وكان لقيامها أعظم الأثر في تمكين أصول الإسلام في الهند وتعميق جذوره الأولى . وهو أمر يشهد به التراث الفكري والفني الهائل الذي خلفه أباطرة المغول العظام في الهند أمثال همايون وأكبر وجهانجير وشاه جهان وأورنجزيب .

وتاريخ المغول في الهند ، على الرغم من أنه يدخل في عداد التاريخ الحديث ، يعتبر امتدادا للتاريخ الإسلامي في العصر الوسيط واستمرارا له ، كما أن آثار الحضارة المغولية في الهند ، وهي حضارة تعتمد أساساً على تقاليد مغولية وفارسية وتركية تعتبر امتداداً لحضارة المغول في العصر التيموري ، وإن كانت قد اتسمت بوضوح شخصيتها وجدتها وأصالتها .

ولم يحظ تاريخ المغول في الهند - على أهميته بالنسبة لتاريخ الشرق الإسلامي في العصور الوسطى والحديثة - بما يستحقه من عناية الباحثين في الأقطار العربية ، الذين لم يصل اهتمامهم إلى أبعد من بلدان الشرق الأدنى الإسلامية ، وكان هذا من العوامل التي دفعتني إلى الكتابة في تاريخ هذه الدولة الإسلامية ، فأصدرت في سنة ١٩٥٧ بحثاً عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث ، وأفردت للهند فصلاً قائماً بذاته . وقد حاولت بقدر ما وسعني الجهد أن يكون هذا الكتاب بحثاً شاملاً مترابط العناصر ، لتاريخ المغول في الهند ، كما حاولت أن أكشف النقاب عن كثير من خفايا هذا التاريخ ، وأمهّد السبيل أمام المهتمين بتاريخ الشرق الإسلامي الإمام بجوانبه الغامضة وأحسبني قد وفقت فيما أنا بسبيله .

وقد مهدت للبحث بفصل تمهيدى ، لخصت فيه المسالك التى نفذ منها الإسلام إلى الهند منذ عصر الفتوحات العربية ، موضحا عوامل انتشار الإسلام فى الهند فى الحرب عن طريق الغزو والفتح ، وفى السلم عن طريق الدعوة الدينية السلبية ، حتى القرن السادس عشر الميلادى ، ثم بدأت البحث بقيام دولة المغول فى الهند على يدى ظهير الدين محمد بابر وولده ناصر الدين محمد همايون ، وأفردت لكل منها فصلا تناولت فيه دوره بالنسبة للتاريخ السياسى والحضارى . ثم خصصت فصلا ثالثا لدراسة عصر شيرشاه وخلفائه . ثم خصصت الفصول الثلاثة الرابع والخامس والسادس لدراسة عصر شاه أكبر أعظم أباطرة المغول فى الهند . وفى الفصل السابع تحدثت عن حركة أحمد سرهندي أحد كبار مفكرى الهند الإسلامية ، وهى حركة تجديدية كان لها أثرها فى إصلاح المجتمع الإسلامى فى الهند . أما الفصل الثامن فقد تحدثت فيه عن عصر جهانجير بن أكبر ، وفى الفصل التاسع عن شاه جهان . واختتمت البحث بفصل عاشر تحدثت فيه عن عصر أورنجزيب ابن جيهان .

ولم أغفل مع ذلك الجانب الحضارى من تاريخ المغول ، فقد أوليته عناية خاصة ، وأشترت فى كل من عهود أباطرة المغول إلى آثارهم فى الحضارة .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما أنا بسبيله ، والله الموفق ؟

الاسكندرية فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٧

بهمال الدين السبال

المقدمة

- (أ) العالم الإسلامي بين قوى ثلاث
(من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر)
- (ب) دخول الإسلام الهند وانتشاره بها

(أ) العالم الإسلامي بين قوى ثلاث

من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر

شهد العالم الإسلامي في القرن السادس عشر تغييرات أساسية ، ففي السنوات الأولى من هذا القرن اصطدمت قوى الدولة التركية العثمانية بقوى دولة المماليك ، وعقدت ألوية النصر للدولة الأولى ، وورثت ملك المماليك في الشام ومصر ، وقضت على الخلافة العباسية الصورية القائمة في مصر ، وانتزع سلاطين العثمانيين منذ ذلك الحين لقب الخلافة ، وأصبحوا بهذا خلفاء للسليين بعد أن كانوا سلاطين على دولتهم التركية وحسب .

ثم امتد ملك الأتراك العثمانيين بعد هذا ، وفي هذا القرن أيضا ، حتى شمل بلاد العرب واليمن في آسيا ، والجزائر وتونس وطرابلس في أفريقيا ، ولم يبق خارجا عن ملك أعثمانيين غير المغرب الأقصى .

وفي أوائل هذا القرن أيضا قامت دولتان إسلاميتان جديدتان في القسم الشرقي من العالم الإسلامي :

الدولة الأولى : هي الدولة الصفوية الشيعية في بلاد فارس ، ومؤسسها هو الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٦ هـ = ١٥٠٠ م) وقد ضم إليه العراق العربي وديار بكر ، وشمل ملكه بلاد فارس وخراسان جميعا ، وامتدت دولته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر واتخذ تبريز عاصمة له .

وقد قام نزاع آخر بين هذه الدولة ودولة الأتراك العثمانيين ، وانتصر السلطان سليم الأول في موقعة شالدران (١٥١٤) ، ولكنه لم يكن إلتصاراً حاسماً ، ولم يستطع العثمانيون اقتضاء على ملك الصفويين قضاء تاما كما فعلوا بدولة المماليك ، وكل ما نجحوا فيه هو ضم بلاد العراق العربي وظلت الدولة الصفوية قائمة إلى أواخر القرن التاسع عشر (٩٠٧ - ١٣١١ هـ = ١٥٠٢ - ١٨٩٣) .

أما الدولة الثانية : فهي دولة أباطرة المغول في الهند ، ومؤسس هذه الدولة هو بابر شاه من سلالة تيمور لذك ، وقد خلفه من نسله عدد من الأباطرة العظام من أمثال : همايون ، وأكبر ، وجهانجير ، وشاه جهان ، وأورنجزيب ، ثم خلف من بعدهم خلف من الملوك الضعاف ، وظلت الدولة قائمة إلى أن انتهت في منتصف القرن التاسع عشر .

فهذه دول ثلاث اقترنت بالحكم في العالم الإسلامي في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، اثنان منها سنيتان ، وهما الدولة التركية العثمانية ، والدولة المغولية في الهند ، والثالثة شيعية وهي الدولة الصفوية ، وهي جميعا لم تكن دولا عربية الجنس أو اللسان ، ولهذا أثره الواضح في إضمحلال الدراسات العربية وانتعاش الدراسات التركية والفارسية .

وكذلك بدا العالم الإسلامي في القرن السادس عشر قويا مرهوبا الجانب لأن الدول الثلاث كانت دولا حربية ، ولكنها لم تلبث في القرنين التاليين أن نالت منها عوامل الضعف والانحلال .

(ب) دخول الإسلام الهند وانتشاره بها

دخل الإسلام الهند عن طريقين :-

(١) طريق السند : وكان دخوله من هذا الطريق مع جيش البطل الشاب الفاتح محمد بن القاسم الثقفي في سنة ٩٢ هـ ، الذي استطاع أن يهزم ملك السند (داهر) ، وأن يحاصر مدينة ملتان إلى أن استولى عليها وحطم ما بقي في معابدها من أوثان وأصنام ، وقد امتدت فتوح محمد بن القاسم حتى شملت إقليم السند كله وجنوب البنجاب ، وظلت هذه الإماره تابعة للخلافة وعن طريقها انتشر الإسلام رويدا رويدا في المناطق الهندية المجاورة .

(٢) والطريق الثاني : هو منطقة الحدود الشمالية الغربية ، وعبرها انحدرت جيوش محمود بن سبكتكين - أو محمود الغزنوي - (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) ففتحت إقليم البنجاب وتقدمت حتى استولت على دلهي ومعظم الأجزاء الشمالية من الهند .
وفيما يلي تفصيل الحديث عن الفتحين :

١ - الفتح الأول على يد محمد بن القاسم الثقفي :

في عهد الخليفة الاموي الوايد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٥١٥) بلغت الفتوح الإسلامية أقصاها شرقا وغربا ، ففي الشرق استطاع القائد قتيبة بن مسلم أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، وأن يصل بجموشه إلى أواسط آسيا ، وفي الغرب استطاع موسى بن نصير أن يخضع بلاد المغرب ، كما استطاع مولاة طارق بن زياد أن يفتح بلاد الاندلس .

وفي نفس الوقت مهدت الأحداث إلى غزو بلاد السند على يد القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي (ابن أخت حاكم العراق في ذلك الوقت الحجاج بن يوسف وزوج ابنته) .

وأسباب الفتح كثيرة منها :

- أن البراهمة حكام إقليم السند كانوا قد أرسلوا بعض الفرق الحربية لمساعدة
الفرس في حروبهم مع المسلمين .

- وفي عهد الحجاج فر بعض الشائرين العرب إلى إقليم السند ولجأوا إلى
حاكمه ، راجا داهر ، فأوأم وحامم .

وأما السبب المباشر الذى دفع العرب إلى غزو البلاد فيرجع إلى الغارات
التي قام بها قراصنة ديبيل - ميناء السند الشهير وقتذاك - على بعض السفن التي
كانت تبحر في طريقها من جزيرة سيلان إلى بلاد العرب تحمل جثث من مانوا
من التجار العرب في هذه الجزيرة ومعها زوجات هؤلاء التجار وهدايا مرسله
من حاكم الجزيرة إلى خليفة المسلمين .

وعندما سمع الحجاج بهذا الحادث وأن قراصنة ديبيل نهبوا السفن واستولوا
على هدايا الخليفة - أرسل احتجاجاً شديداً إلى داهر ، وطلب منه أن يعمل جاهداً
على معاقبة الناهبين واستعادة الهدايا ، ولكن داهر لم يعر الامر اهتماماً ورفض أن
يستجيب لطلب الحجاج .

وعند ذلك قرر الحجاج أن لا بد من عقاب الراجا نفسه ، واستأذن الخليفة
في أن يرسل جيشاً لفتح بلاد السند ، وتكون الجيش من ٦٠٠٠ جندي من خيرة
جند الشام والعراق ، ومعهم عدد مائت من راكبي الجبال يتبعهم قطار من ٣٠٠٠ جمل
تحمّل مؤنة الجيش وعتاده ، وعقد لواء القيادة إلى البطل الشاب محمد بن القاسم .
وكان من بين أسلحة الجيش عدد من المنجنقات لرمي القلاع والحصون
والاسوار بالحجارة وكرات الحديد ، وكان أكبرها منجنيق يسمى (العروس)
ويديره خمسمائة رجل .

وقاد محمد بن القاسم هذا الجيش عبر مكران متجها نحو نجر الديبل ، وبدأ القتال ، ونقل إلى محمد بن القاسم أن الجيش المعادي يعتقد أن هناك طلسمًا أو تعويذة حامية تستقر تحت العلم الأحمر الأكبر الذي يرفرف فوق برج المعبد القائم وسط المدينة ، فأصدر أوامره إلى جنوده أن يجعلوا هذا العلم المهدف الأول لمنجنيقهم الكبير (العروس) ، وسقط العلم السحري ، وبسقوطه سقطت همم الجند المدافعين عن المدينة ، وانهارت روحهم المعنوية واستسلموا للجيش الفاتح .

خضعت المدينة لمحمد بن القاسم ، وأصبحت في قبضة يده وتحت رحمته . ولكنه منع جنوده من الاعتداء على أحد أو قتله ، وعامل الأهليين معاملة طيبة وكريمة . ثم ترك في المدينة حامية للدفاع عنها ، وتقدم ببقية جيشه نحو « نيرون » ، وهي مدينة كانت تقع على الضفة الغربية من نهر السند ، فلما وصلها أتاه وفد من كهنتها البوذيين وأبرزوا له أمانًا صدر إليهم من الحجاج ، فأمنهم ودخل المدينة دون قتال ، وفي فيرون اتخذ المسلمون إجراءات تيسر لهم إقامتهم كما بنوا بها مسجداً .

وتقدم المسلمون بعد ذلك يتمون فتحهم ، فاستولوا على مدينة سهوان دون مقاومة . ثم تركوها إلى مدينة سيام حيث قضا على مقاومة من بها من الجات (الظط) وفي ذلك الوقت أعد راجا داهر جيشاً ضخماً من ٥٠٠٠٠ فارس واستعد للدفاع وراء أسوار حصن راوار ، ولم يأبه محمد بن القاسم ورجاله بحر يونيو اللافتح ولا بسهام العدو التي انصبت عليهم كأنها المطر ، وعبروا النهر إلى الضفة المقابلة التي يقوم عليها الحصن ، ووجدوا أنفسهم يقفون وجهاً لوجه أمام أكبر جيش اعترضهم منذ وطئت أقدامهم أرض السند .

واستمر القتال سجالاتاً أربعة أيام كاملة ، وفي اليوم الخامس (وكان يوافق العاشر من رمضان) قاد داهر المعركة بنفسه بصف من الفيلة تثير الرعب في النفوس ، وشعر المسلمون بتفوق جيش العدو في العدد والعدة ، فنارت حماسهم

وانقضوا عليه في بسالة منقطعة النظر ، وأصاب سهم الفيل الذي يركبه داهر
فولى الفيل هاربا ، وظل داهر يتماثل راجلا إلى أن قبض عليه أحد الجنود العرب
وقتل ، فتخاذل العدو ، وتقدم المسلمون لحصار الحصن واستولوا عليه بعد
مقاومة بيرة .

وبعد هذا النصر الذي أحرزه محمد بن القاسم في مدينة «راوار» Rawar تقدم
بجيشه نحو «برهمناباد» Brahmanabad وهي مدينة قديمة كان لها شأن في تلك
العصور ، وكانت تقع على مسافة ٥٠ ميلا من حيدرآباد السند .

ولم يكد الجيش العربي يقرب من المدينة حتى لاذ ابن داهر بأذيال الفرار ، وترك
أمر حمايتها والدفاع عنها لقواده ، ولكن هؤلاء القواد عجزوا عن مقاومة
الحصار ، فسلموا المدينة دون قيد أو شرط ، ودخلها محمد بن القاسم منتصرا مظفرا
وأصدر كعادته العفو والأمان للسكان المدنيين .

وفي «برهمناباد» لبث محمد بن القاسم قليلا ليعيد تنظيم الإدارة في المنطقة التي
استولى عليها ، وليرسى هذه التنظيمات على قواعد سليمة ، من السماحة والعدل ،
فقد أباح لغير المسلمين الحرية الدينية ، كما أمر بأن يعاد بناء بعض المعابد التي خربتها
الحرب ، وسمح للبراهمة أن يمارسوا حقوقهم وأن يحتفظوا باستيازاتهم القديمة .

واستأنف محمد بن القاسم جهوده الحربية بعد قليل ، فاتجه بجيشه نحو حصن
«أرور» وكانت زوج داهر وابنه قد لجأ إليها واحتميا بها ، ولكنهما لم يكادا
يسمعان بقرب الجيش العربي حتى أسرعا بالرحيل وسلت الحامية الحصن
دون مقاومة .

وكانت الخطوة التالية من خطوات الفتح مدينة «ملتان» Multan وقد قاومت مقاومة
عنيفة . ولكنها لم تلبث أن خضعت وسلت ، وفي ذلك الحين وصلت الأنباء بموت

الحجاج ، فأوقف محمد بن القاسم الفتوح وعاد إلى حصن دارور ، وكان آخر ما فتح مدينة يقال لها (الكيرج) فتحها عنوة سنة ٩٦ هـ ، ثم أتاه بعدها نبأ وفاة الخليفة الوليد ، وتولية أخيه سليمان الخلافة من بعده ، ولم ينس سليمان أن أخاه قد بذل الجهد الجهد لعزله من ولاية العهد وحرمانه من تولى الخلافة ليمهد الطريق لتولية ابنه ، وكان يؤيده في هذا المسعى الحجاج بن يوسف ، ومحمد ابن القاسم ، ولهذا لم يلبث الخليفة سليمان بن عبد الملك أن صب جام غضبه على محمد بن القاسم ، وأصدر أمره بعزله عن السند وولى مكانه يزيد بن أبي كيشة ، فقبض على محمد وقيده وأرسله في حالة مهينة إلى العراق .

وحزن أهل السند لما أصاب محمدا واحتفظ أهل الكيرج بصورة كانوا قد رسموها له ، وفي العراق وكل به الخليفة من عذبه وقتله .

وهكذا فاضت روح البطل الشاب الذي استطاع في أقل من ثلاث سنوات أن يفتح إقليم السند ويبسط لأول مرة نفوذ الدولة الإسلامية في بلاد الهند ، وكان لموته وقع أليم في نفوس أهل السند ، واحتفظ سكان الكيرج - كما ذكرنا - بصورة كانوا قد رسموها لمحمد تخليدا لذكراه .

ولقد كان للفتح العربي للهند آثار جد خطيرة ، فقد فتح أبواب شبه القارة الهندية للدين الإسلامي وللثقافة الإسلامية ، ومهد لقيام علاقات تجارية وثقافية نشيطة بينها وبين العالم العربي ، وأسرع سكان إقليم السند بعد الفتح باعترافهم بالدين الإسلامي طواعية واختيارا ، ولم يمض غير وقت قصير حتى أصبح هذا الإقليم يكون جزءا هاما من أجزاء العالم الإسلامي ، وأصبحت ملتان مدينة عالمية ولبثت قرونا طويلة تعتبر أكبر مركز ثقافي وتجاري في غربي الهند .

ففي السند وضعت الأسس الأولى لقيام حكومة إسلامية ، ومنه انتشرت السيادة الإسلامية إلى سائر أنحاء شبه القارة الهندية ، وقد استطاع العرب فيما بعد أن يتمثلوا الحضارات اليونانية والفارسية والمصرية القديمة ، وأن ينقلوا إلى العربية

أهم مؤلفات هذه الشعوب القديمة ، وقد نقلوا هذا المزيج الجديد من الحضارة معهم إلى الهند ، وهناك أضافوا إليه قبسا جديدا من الحضارة الهندية ، فدرسوا العلوم الهندية وأخذوا عنها الشيء الكثير وخاصة نظام الأرقام الحسابية الهندية ، وعندهم نقلتها معظم شعوب أوربا حيث لا تزال تعرف عندهم (بالأرقام العربية)

٢ - الفتح الثاني على يد محمود الغزنوى :

كان سبكتكين واليا على أفغانستان من قبل السامانيين ، وقد عمل على توسيع حدود ولايته فحصل على إمرة خراسان من مولاة الساماني ، كما غزا إقليم البنجاب وهزم حاكمه جييال ، وأقام في مدينة بشاور حكومة إسلامية ، فلما توفي في سنة ٣٨٧ خلفه ابنه محمود .

وكانت الدولة السامانية وقتذاك في دور الاحتضار ، ففضى محمود عليها ، وورث ملكها واستقل بها مع ولاته للخلافة العباسية ، ففي سنة ٣٩٠ هـ اعترف الخليفة العباسي القادر بمحمود واليا ، وأقبله بأمين الملك ويمين الدولة ، وقد اتخذ محمود مدينة غزنة عاصمة لملكه ، ولهذا يعرف في التاريخ باسم محمود الغزنوى ، كما تعرف الدولة التي أسسها باسم الدولة الغزنوية ، وقد امتدت دولة محمود حتى شملت شمال الهند وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر وأجزاء الأكبر من بلاد فارس .

حكم محمود أربعة وثلاثين عاما غزا في خلالها بلاد الهند سبع عشرة غزوة استطاع في نهايتها أن يقيم للغزنويين ملكا شاسعا في معظم بلاد الهند .

- كانت غزوة محمود الأولى لبلاد الهند في ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م) وكانت في الواقع غزوة استطلاعية ، فلم يتجاوز فيها بجيوشه المرتفعات المجاورة لمدينة بشاور على الحدود الشمالية الغربية لبلاد الهند .

- وفي السنة التالية ٣٩٢ (١٠٠١) قام محمود بغزوته الثانية الهامة ، فعبر نهر السند . واندفع على د جييال ، راجا لاهور بعد قتال عنيف ، وغنم غنائم كثيرة

من بينها القلادة التي كان يحلى بها جييال عنقه ، وكانت من الجواهر الثمينة ،
وتقدر قيمتها بنحو مائتي ألف دينار ، وأطلق محمود بعد ذلك سراح جييال بعد
أن افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال ، ولكنه لم يل الملك بعد ذلك ، فقد كان من
عادة الهنود أنه إذا أسر المسلمون أحد أمرائهم لا يعترفون له بالرئاسة بعد ذلك ،
ولهذا لم يرض جييال عن حاله بعد خلاصه من الأسر فألقى بنفسه إلى النار ،
وخلفه ابنه (أنانج بال) على العرش .

وفي غزوة سنة ٣٩٦ (١٠٠٥) تقابل محمود مع هذا الابن فهزمه واضطره
إلى الفرار إلى كشمير ، ثم تقدم محمود بعد ذلك وهاجم إمارة ملتان ، فقد كان
حاكمها أبو الفتوح شيعيا ، ومحمود سني يعتبر غير السني مارقا وخارجا على الدين .
وفي سنة ٣٩٩ (١٠٠٨) غزا محمود الهند لمحاربة (سيوه بال) الذي كان قد
أسلم على يد محمود ، وولاه إقليم ملتان نائباً عنه ، ولكنه ما لبث أن ارتد إلى
الهندوكية ، ولهذا خرج محمود لتأديبه .

— وفي سنة ٤٠٠ (١٠٠٩) أعد (أنانج بال) ابن (بيجال) جيشا كبيرا
واستعد لمقاتلة محمود ، يعاونه ويؤيده كثير من أمراء الهند ، وكان الهنود يستعملون
— كهاتهم — الفيلة في حروبهم ، ولكن المسلمين استخدموا القذائف النارية ،
ففزعت الفيلة ونفرت ، وتفرق الهنود ، وانتصر محمود ، وغنم غنائم كثيرة وحمل
الكثير من نفائس المعابد الهندية إلى غزنة .

— وفي سنة ٤٠٧ (١٠١٦) غزا محمود الهند ، وكانت وجهته ولاية كشمير ،
فاتصر في كثير من المواقع وضم كشمير إلى ملكه ، وبعد عودته من هذه الحملة
أمر ببناء جامع في غزنة ، ويقول ابن الأثير إنه بنى بناء لم يسمع بمثله ، وأنفق
ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه .

— وفي غزوة سنة ٤٠٩ (١٠١٨) استطاع محمود أن يعبر نهر الجانج لأول

مرة وأخضع مدينة ماترا، ودانت له بالولاء مدينة قنوج .

- وكانت غزوة سنة ٤١٦ (١٠٢٥) أعظم غزوات محمود في بلاد الهند ، فقد استطاع أن يتقدم جنوبا إلى شبه جزيرة جوجرات وأن يحطم معبد سومنات العظيم هناك ، يقول ابن الأثير إن محمود كان كلما فتح بلدا من بلاد الهند وحطم ما بها من أصنام يقول الهنود : إن هذه الأصنام قد سقطت عليها سومنات ، ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء .

فلما بلغ محمود ذلك أصر على تحطيم هذا المعبد ظنا منه أن الهنود إذا رأوا أن عقيدتهم في سومنات كانت باطلة دخلوا في الاسلام ، ولهذا خرج محمود من غزنة يقود جيشا من ثلاثين ألف فارس ، وعبر إقليم السند واتجه جنوبا إلى جوجرات ، فقاومه أهلها مقاومة عنيفة ، ولكن النصر كتب أخيرا لمحمود ، ودخل معبد سومنات وحطم سومنات نفسه ، ويقال إنه حمل قطعة منه جعلها عتبة جامع في غزنة وفي تاريخي العتي وابن الأثير وصف تفصيلي للنفاث التي غنمها محمود من هذا المعبد ، وقد أرسل محمود بعد هذا الفتح العظيم الذي ضم إلى ملكه معظم بلاد الهند خطابا إلى الخليفة العباسي وصف فيه انتصاراته ، ومعبد سومنات ، ومبلغ إيمان الهنود به ، وقد أورد ابن خلكان في ترجمته لمحمود الغزنوي صورة هذا الخطاب . وبعد هذه الغزوة أقام محمود في الهند شهورا ثم عاد إلى غزنة في ١٠٢٦ م . ثم زار الهند زيارته الأخيرة بعد ثلاث سنوات (١٠٢٩) .

وفي سنة ٤٢١ (١٠٣٠) توفي محمود وهو في الحادية والستين من عمره ، وقد اتخذ ابنه مسعود لاهور ، مقرا لحكمه ، وتوالى على حكم الهند أبناؤه وأحفاده إلى أن انتهت الأسرة الغزنوية في سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢) .

وتوالى على بلاد الهند دول إسلامية كثيرة إلى أن كان القرن السادس عشر ، وانحدرد بابر ، عبر نفس الطريق بجميوشه المغوية مكونا دولة الأباطرة العظام ،

التي مدت سلطانها حتى شمل معظم أجزاء الهند ، والتي ظلت تحكم شبه القارة الهندية نحو ثلاثة قرون .

ونتيجة لهذه الفتوح ، ولقيام الدول الإسلامية المتتابعة انتشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء الهند ، ولكننا نلاحظ أن هناك عاملا آخر كان أكثر تأثيرا في انتشار الاسلام في الهند ، وذلك هو سبيل الدعوة الدينية السليمة التي تسير مع ركب الحياة وتطورها ، فمن طريق التجار وانصالاتهم ، وعن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم ، وعن طريق العلماء والمتصوفة ورحلاتهم ومدارسهم انتشر الاسلام بين الهنود ، فهؤلاء جميعا كانوا في معظمهم من العرب أو المثقفين بالثقافة العربية ، في حين أن الفتوح الاسلامية - باستثناء الفتح الأول الذي قاده محمد بن القاسم - قامت بها جيوش وعناصر غير عربية من الترك والفرس المغول .

وهذه ناحية هامة نعتبرها مفتاح دراسة الاسلام في الهند ، فإن معظم هذه الجيوش والعناصر والدول التركية والمغولية كانت في معظمها حديثة عهد باعتناق الاسلام ، وقد نقلت معها الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية والمغولية ، ولهذا انتشرت في المجتمع الاسلامي بالهند اللغة الفارسية (لغة الثقافة في ذلك العصر) ، واللغة الأوردية ، ولم تنتشر اللغة العربية ، وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية في الهند ازدهارها في الاقاليم والدول الاسلامية الأخرى ، وساعد على هذا أن معظم العلماء والشيوخ الذين وفدوا على الهند كانوا من علماء ما وراء النهر ، وهؤلاء كانوا من أتباع مذهب أبي حنيفة يعتمدون على كتب المتأخرين من فقهاء هذا المذهب ، كما كانوا شغوفين بعلوم اليونان القديمة ، ولغتهم الثقافية الأثرية ليسهم هي اللغة الفارسية ، ولهذا اصطبغت الثقافة الاسلامية في الهند بهذه الصفات الثلاث ، ولم تقم على أسس سليمة قوية من الثقافة العربية .

ولكن ليس معنى هذا أن الهنود لم يعرفوا اللغة أو المؤلفات العربية ، بل

لقد عرفوها وانتشرت بينهم وتعلمها الكثيرون منهم وألفوا بها ، ولكن الذى نعينه أنها كانت أقل انتشارا وتأثيرا فى المجتمع الاسلامى الهندى إذا قورنت بالثقافتين الفارسية والتركية المغولية .

وقد توالى على الهند منذ دخلها الاسلام دول إسلامية كثيرة متعاقبة كانت دولة أباطرة المغول آخرها وأهمها وأوسعها ملكا . وأطولها عمرا ، وأرقاها حضارة وهذه الدولة هى موضوع دراستنا فى الفصول التالية .

الفصل الأول

ظهير الدين محمد بابر

(٩٢٢ - ٩٢٧ = ١٥٢٦ - ١٥٣٠)

يبدأ العصر المزدهر في تاريخ الهند بمقدم بابر ملييا لدعوة علاء الدين لودى عم الاميرين : إبراهيم لودى السلطان القائم بالحكم ، ودولة خان لودى حاكم البنجاب .

وكان انتصار بابر في معركة بانيبات الاولى على إبراهيم لودى ايذانا بيده عهد جديد في تاريخ الهند ، فقد مهدت هذه المعركة السبيل لمقدم المغول واستقرارهم في هذه الدولة واتخاذها موطناً دائماً ، وكانت أهم نتائج النصر في بانيبات قيام الأسرة المغولية التي أظهرت عدداً من هؤلاء الحكام العظام الذين وصلت الهند تحت حكمهم إلى أوج عظمتها وقة مجدها وغناها .

ولقد استازت الامبراطورية المغولية بما ساد فيها من نظم نافعة للحكم ومن أفكار ناضجة مما كان له أثر واضح في ازدهار الفنون الجميلة وتقديم العلوم والآداب .

وسنرى فيما يلي أن بلاط السلاطين كان طوال الفترة التي ساد فيها حكم المغول ينجح وكأنه خلية النحل بمن كان يغشاه من الشعراء والمصورين والمؤرخين والفلاسفة والموسيقين والمهندسين والمعماريين ، ويرجع الفضل في ظهور هذا العدد الكبير من رجال الفن ونشاطهم الثقافي إلى رعاية السلاطين وتشجيعهم .

وينتهي بابر بنسبه من ناحية أبيه إلى (تيمور لنگ) ، ومن ناحية أمه إلى (جنكيز خان) ، ففي عروقه كانت تجري دماء قائدين من أعظم قواد أواسط آسيا الحربيين ، وفي شخصه اجتمعت نسب متساوية من شجاعة تترى بدوى ، ومن ثقافة فارسي متحضر .

ولم يكن بابر — مع هذا — مغوليا بل إنه يتحدث عن المغول في مذكراته باحتقار ، ويفتخر بأنه تركي ، ولهذا يبدو عجيبا أن تسمى الدولة التي أنشأها بالدولة المغولية ، غير أن تفسير هذا يرجع إلى أن أهالي الهند اعتادوا أن يسموا كل الغزاة المسلمين — باستثناء الأفغان — مغولا ، ومن هنا سميت أسرة بابر كذلك بالأسرة المغولية .

نشأة الأولى :

وقد ولد ظهير الدين محمد الملقب ببابر — أى النمر — يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٤٨٣ ، ، وكان والده وعمر شيخ مرزا ، حاكما على إقليم فرغانة ، أحد أجزاء امبراطورية تيمور في وسط آسيا .

وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره توفي والده فخلفه على ملكه ، ولكن هذا الاجراء لم يلق قبولا من أعمامه وألاد أعمامه ، وبدأ واحد منهم بمهاجمته بعد توليته العرش ، وظل الباقيون يدبرون المؤامرات ضده إلى آخر لحظة من حياتهم .

وكان من حسن طالعهِ أن أحمد ميرزا الذى كان يتطلع إلى عرشه قد توفي بعد مرور سنة واحدة تاركا سمرقند تسودها الفوضى والاضطراب . فاتهم بابر هذه الفرصة السانحة ، وتقدم من فرغانة ودخل سمرقند واستولى عليها ، وهناك أقام نفسه على عرش جده الأكبر تيمور ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره . وفى ملكه الجديد اعتراه مرض فاستغل وزيره الطموح فرصة غيابه ومرضه وأقام على عرش فرغانة جهانجير الأخ الأصغر لبابر ، مشيعا أن بابر قد مات .

وبعد إبلال بابر من مرضه أسرع بالخروج من سمرقند متجها نحو فرغانة لاستعادتها ، ولكن لم يكده يغادر سمرقند حتى استولى عليها ابن عم له يدعى على . وبذلك فقد ملكه هنا وهناك ولم يبق تحت يده فى هذه السنة (١٤٩٨ م) غير



الاباطرة الاربعة الكبار

بابر و همايون

أكبر وجهها بخير

مدينة خوقند ، وهي مدينة صغيرة في الطريق بين فرغانة وسمرقند .

ولكنه استطاع أن يستعيد فرغانة في سنة ١٤٩٩ م ، وسمرقند في السنة التي تليها ، غير أن قبائل الأوزبك لم تدعه يباشر حكمه في سلام ، ولم يلبث أن هزم أمامهم في معركة عنيفة عند أرشيان — Archian في سنة ١٥٠١ م ، ونجا بحياته بصعوبة شديدة . وبذلك فقد ملكه ثانية في كل من سمرقند وفرغانة . عند ذلك ودع بابر وطنه الحبيب فرغانة ، وبدأ يحاول تكوين ملك جديد وراء جبال هندكوش — وتعتبر سنة ١٥٠٤ سنة سعيدة في حياة بابر ، ففني هذه السنة استطاع أن يهزم الأفغان وأن يستولى على مدينة كابل ، وبذلك فتح له الطريق للاستيلاء على مدن أفغانستان الكبيرة الأخرى : قندهار ، وهرات ، وبخشان .

كل هذه الانتصارات شجعت على التطلع لاستعادة سمرقند عاصمة جده الأكبر تيمور ، ففي سنة ١٥١٣ عقد حلفا مع شاه فارس إسماعيل الصفوي ، وبذلك استطاع أن يفتح مدينتي بخارى وسمرقند ورغم هذه الانتصارات ظل ملكه مزعزعا فقد كان الأوزابكة لا يزالون يهددونه ، كذلك كان قبوله لمذهب الاثنى عشرية في معاهدته مع ملك فارس سببا في إثارة رعاياه من السنة وبعدهم عنه ، وقد استغل الأوزابكة شعور هؤلاء الرعايا إلى أبعد حد ، وبدأوا يصطادون في الماء العكر ، واستطاعوا في وقت وجيز أن يزيجوه عن أملاكه وأن يطردوه من مدينة إثر مدينة ، واضطر بابر أخيرا أن يتجه ببصره نحو الشرق عساه يستطيع أن يكون له ملكا جديدا هناك .

محاولاته الأولى لفتح الهند :

سبقت معركة بانيمات محاولات تمهيدية لغزو الهند ، كانت أولى هذه المحاولات في سنة ١٥٠٥ عندما استولى بابر على مدينة غزنة ، ووصل بفتوحه إلى حدود

السند ، وفي السنة التالية عبر السند وتوغل في داخل الهند ، ولكنه استدعى سريعا إلى كابل ليواجه غارة من غارات الازابكة أعدائه القدامى .

هذه المحاولات التمهيدية أقنعت بابر أنه لا يستطيع فتح الهند قبل تقوية قاعدة ملكه في قندهار ، ولهذا بدأ بالاستيلاء على هذه المدينة من الأفغان وأخذ يعدها لتكون مركزا من مراكز الدفاع ، وأتمع هذا ببسط سلطانه على المنطقة الممتدة بين غزنة وخراسان ، وكانت هذه الإجراءات جميعا تمهيدا للغزو المرتقب للهند .

الحالة في الهند قبيل غزو بابر :

كانت الأحوال السياسية في الهند قبيل إقدام بابر على غزوها سيئة غاية السوء ، وكانت الأجزاء الشمالية تسودها البغضاء والانقسامات ، فقد مات إسكندر لودى في سنة ١٥١٧ وكان حكيما قديرا ، ولكن خلفه على عرش دلهى ابن أحمق هو ابراهيم لودى ، وقد أثارت سياسته الخرقاء إشتمزاز أمراء الأفغان ، فبدأوا يأتزمون به في السر ، ثم استقلت البنغال وجنوب Jaunpur ومالوا وجوجرات Gujarat وغيرها من ولايات الأطراف .

كذلك أعلنت أود Oudh وبهار Bihar من ولايات الشرق راية العصيان ، وثار دوات خان لودى حاكم البنجاب وعلاء الدين لودى - عم إبراهيم - وأرسلا يستجدان ببابر لتخليص الهند من هذا الحاكم المستبد إبراهيم ، كذلك استغاث به رانا سانغا Rana Sangha زعيم الراجبوت .

ولم يكن في حسابان بابر أن يوفق لفرصة أحسن من هذه الفرصة ، فقد كانت الهند ضعيفة ومفككة في حين كان بابر قويا ومستعدا ، وأخيرا في سنة ١٥٢٤ خرج بابر بحملته النهائية متبعا الطريق الذى أتبعه من قبل إلى أن وصل إلى مدينة لاهور ، ولكنه وجد دولة خان منضما إلى إبراهيم لودى فعاد إلى كابل ليعمل على تقوية جيشه ثم يهاجم الهند .

فتح الهند :

وفي سنة ١٥٢٥ هاجم بابر دولت خان واستولى على البنجاب ، ثم تقدم نحو دلهي مارا بمرهند ، وعند ذلك جمع ابراهيم لودي جيوشه وخرج من أجرا لمقابلة هذا العدو الفاتح ، وتقابل الجيشان في سهل بانيبات في شهر ابريل سنة ١٥٢٦ ، وكان جيش بابر يتكون من ١٢٠.٠٠ من الجنود الشجعان ، وقد عمل على حماية هذا الجيش ضد هجمات أعدائه بأن أقام سياجا من العربات المتصلة تعززها الاسوار والخنادق ، أما جيش ابراهيم فقد كان يفوق جيش بابر في العدد كثيرا إذ بلغت عـددته ١٠٠.٠٠٠ جندي ، ولكن جيش بابر كان أحسن تدريباً كما كانت به فرقة ممتازة من المدفعية ، ولهذا سرعان ما انتصر بابر على خصمه واستولى نتيجة لهذا النصر على دلهي وأجرا حيث رحب به أهالي العاصمةين باعتبارهما امبراطورا للهند ، وفي يوم الجمعة ٢٢ ابريل سنة ١٥٢٦ خطب باسمه على منبر المسجد الجامع في العاصمة دلهي .

وهكذا وضعت معركة بانيبات الأولى حدا لحكم الافغان في الهند ، وكان إيذاها بيد الحكم المغولي ، وأصبح بابر حاكما على دلهي ، ولكن هذا لم يعن أنه أصبح حاكما على الهند ، فقد كانت لا تزال تنتظره صعوبات كثيرة لتحقيق هذا الهدف الاكبر .

الصعوبات التي واجهته : الافغان والصعوبات الاولى :

كان أعداؤه ومنافسوه من الافغانيين يمثلون الصعوبة الاولى ، حقيقة لقد انتصر عليهم ، ولكنهم لم يخضعوا له خضوعا نهائيا ، بل ظل نفر منهم يحتفظون بملكهم وقلاعهم في بعض الاقاليم ينادون سلطان بابر ، كما أن الشعب كان كارها



بابر بادشاه

للإمبراطور المغولي ويعتبره مغتصبا للملك ، فقد كان يؤثر أن يتولى أموره حاكم مستبد على أن يتولاها مغتصب دخيل .

وزاد في حرج مركز بابر أن كثيرين من أتباعه تركوه وانسحبوا عائدين إلى موطنهم الأصلي ، فقد ضايقهم حرارة الهند الشديدة وأثرت في صحتهم ، فبدأوا يلتمسون منه الإذن بالعودة .

ولكن أهداف بابر من فتح الهند لم تكن كأهداف جده الأكبر تيمور ، إنه لم يأت لكي يفتح الهند ويلحقها بملكه الأصلي خارجها ، بل أقدم أني ليمتخذها دار ملك وإقامة ، ولهذا بدأ فألقى في جنوده خطبا حماسيا مثيرا لرفع روحهم المعنوية وتحريضهم على البقاء ، لقد قال لهم ، ان ملكا كهذا كلفه هذا العناء كله لا يمكن أن يفرض فيه أو يتنازل عنه إلا بالموت ، . وأعلنهم أنه قد عزم : ما أكيدا على البقاء في الهند ، وأنه يعطى الإذن بالرحيل لأولئك الجنود الذين يؤثرون السلامة على المجد ويرحب ببقاء أولئك الذين يعتزون بالنصر والشرف ، ويخلصون لسلطانهم ولوطنهم .

وكان لهذا الخطاب أثره في نفوس أتباعه ، فامتنعت المعارضة ، وأقسم القواد يمين الولاء له ، وكان لهذا نتيجة طيبة أخرى ، فإن الأفغانيين عندما أيقنوا أن بابر قد اعتزم البقاء في الهند أسرعوا بالانضمام إليه ، ووضعوا أنفسهم تحت خدمته .

مروبه مع الراجبوت Rajputs

كان من نتائج هذا القرار بالبقاء أن الراجبوت بدأوا يحسون خطر هذا التحول ، ولكن قواد بابر الذين أغدق عليهم العطايا والاقطاعات بدأوا يعملون على ضم أجزاء كثيرة من الهند إلى ملكه ، ففتحو أقاليم : بيانا Bianah وجواليور Gualior ودولابور Dholpur ، كذلك استولى ابنه همايون على جونبور Jaunpur وغازي بور وضمها إلى ملك أبيه ، وأقام بابر في أجرا يرسم الخطط لفتح الهند كلها .

موقعة: خانواه Khanwah سنة ١٥٢٧ :

أما رانا سانغا الذى كان قد استنجد ببابر فقد ظن خطأ أن بابر سيفعل كما فعل جده تيمور فيغير على الهند ثم يجمع ما يستطيع جمعه من الغنائم ويعود ، ولكنه عندما علم بما قر عليه رأى بابر بدأ يتخذ العدة للقاومة ، وكان بابر حينذاك يهاجم إقليم راجبوتانا Rajputana واستولى على بعض أجزائه .

وكان رانا سانغا أميراً حكيماً فاضلاً يتمتع بمكانة مرموقة بين أمراء الراجبوت في الهند ، واعترف له راجات أمير Amber وماروار Marwar بالسيادة كما اعترف له بالولاء أمراء أجير ، وسكرى ، وتشاندري Chanderi وغيرها ، وذلك باعتبارهم من مقطعيه .

ولقد كان رانا يريد باستدعائه بابر أن يهد السبيل لنفسه لتولى عرش الهند كلها ، ولتحقيق هذا الهدف كان قد دعم قواته وموارده العسكرية بحيث أصبح في ذلك الوقت أكبر الأمراء الهندوس نفوذاً ، كما أصبحت إمارته أولى الإمارات مكانة .

وكان رانا قبل أن يصطدم بقوى بابر قد أحرز البطولة في مائة معركة سابقة ، وأصيب في خلالها بما يزيد على ثمانين جرحاً ، وفقد في هذا كله إحدى يديه ، وإحدى ساقيه ، وعينا من عينيه .

وفي الحادى عشر من فبراير سنة ١٥٢٧ تقدم بابر من مدينة أجرا لمقابلة رانا الذى كان يعسكر في سكرى - وهى قرية قريبة من فتحپور Fathpur - وقد صعد الراجبوت للهجمات الأولى ، ولذا المنهزمون بأذيال الفرار ، مما أثار الرعب والفوضى في جيوش المغول ، وفي هذه الساعات الحرجة حطم بابر كؤوس الخمر اتى كان يشربها ، ثم ألقع عن شربها تماماً منذ تلك اللحظة .

وجمع مجلس الحرب لتبادل الرأى ، فنصحه قواده بأن يترك حامية في أجرا

وينسحب إلى البنجاب ، ولكنه أجابهم بقوله :

« ماذا يقول كل الملوك المسلمون في العالم عن ملك دفعه الخوف من الموت
ترك مثل هذه المملكة ؟ » .

خطاب بابر لقواده وجنوده :

ثم ألقى بابر في قواده وجنوده خطابا أثار فيه حماسهم للقتال قال فيه :

« أيها النبلاء والجنود :

كل إنسان يأتي إلى هذه الحياة معرض للفناء ، ونحن عندما نموت وتنتهي
حياتنا يبقى الله وحده لا يصيبه - سبحانه وتعالى - تحول ولا تغير ، وكل من
يدعى إلى مائدة الحياة يجب أن يشرب من كأس الموت قبل أن ترفع المائدة ،
وإليك الذين يصلون إلى دار الفناء مقدر عليهم أن يرحلوا يرحلون من هذه
الدنيا - دار الأحزان - ، فمن الخير إذن أن يموت الإنسان مكلا بأكل الفخر
والشرف من أن يحيا موصوما بالذلة والعار .

فأنا قانع بالذكرى الطيبة ، حتى ولو انتهى بي الأمر إلى الموت فلتكن
الذكرى الطيبة نصيب ما دام مصير جسدي الفناء .
لقد أدركنا الله - جل جلاله - بعطفه ، ثم بلانا الآن بهذه المحنة ، فإذا سقطنا
صرعى في الميدان ، فأننا نموت ميتة الشهداء .

أما إذا كتب لنا البقاء فانا منجيا منتصرين بعد أن نكون قد ثأرنا لدين الله
فلنكن كلنا إذن كرجل واحد ، ولنقسم باسم الله العلي العظيم أن لا يفكر
واحد منا في ترك القتال أو مغادرة المعركة إلا إذا فارقت روحه الجسد .

هزيمة -انا- سانغا ومصير ملف السراجيوت :

هذه الخطبة الحماسية المؤثرة حققت الهدف الذي كان يرمى بابر إلى تحقيقه ،
فقد أثار شغور جنده وأتباعه فأقسموا جميعا على القرآن الكريم أن يقفوا

إلى جانب قائدهم في السراء والضراء .

وفي صباح يوم ١٦ مارس سنة ١٥٣٧ بدأت المعركة وحمل وطيسها حتى مقدم المساء ، وفي خانواه تقابل الفريقان وجها لوجه : فريق يضم قوى الراجبوت المتحالفة تحت قيادة قائدهم الجبار رانا سانغا ، وفريق ثان يضم بقايا الجنود الأتراك تحت قيادة سلطانهم بابر .

وقاتل الفريقان كأحسن ما يكون القتال ، ولكن لم تكد الشمس تؤذن بالمغيب حتى كانت الهزيمة قد لحقت بالراجبوت ، وفر رانا ، وقبض على رفقائه وقتلوا ، وكانت خسائر الراجبوت في هذه المعركة فادحة ، فقد قتل عدد كبير من قوادهم .

وبما لاشك فيه أن موقعة خانواه تعتبر من المواقع الحاسمة الفاصلة في تاريخ الهند ، فقد وضعت حدا لسلطان الراجبوت ، وكانت إيذا نا بيده امبراطورية المغول ، وعلى إثرها جلس بابر على عرش ابراهيم لودي وختم ، بذلك مرحلة من حياته وبدأ مرحلة جديدة ؛ ختم مرحلة الحرب والنضال والجهاد في سبيل إقامة ملك له ، وبدأ مرحلة نضال جديد لتنظيم هذا الملك وتدعيمه ، ومنذ ذلك الحين نقل بابر مقر ملكه من كابل إلى بلاد الهند .

معركة تشاندرى : Ghandri

هذا النصر الذي أحرزه بابر حطم مقاومة الراجبوت ، ولكنه لم يقض عليهم قضاء مبرما ، فقد تجمعت فلولهم تحت قيادة قائد من تشاندرى أسمه ماديني راو Madini Rao وبدأوا يعملون لاستعادة سلطانهم على هندستان ، وقد حاول بابر في أول الأمر أن يجذب ماديني إليه بالطرق السلية ، فعرض أن يمنحه اقطاعا آخر بدلا من مطاعة تشاندرى ، ولكنه رفض هذا العرض ، فخرج بابر لقتاله بنفسه ، غير أنه تلقى في نفس الوقت أخبارا تفيد أن الأفغان هزموا جيشه ،

فقد انتهزوا فرصة غيابه وأرغموا جيشه على مغادرة لسكرناو Lucknow .

لم تزعزع هذه الأخبار المزعجة إرادة بابر ، بل التزم الصبر ، وشدد الحصار على تشاندري إلى أن استولى عليها وهزم ماديبي راو ، ونتيجة لهذه الهزيمة تم انهيار حلف الراجبوت الأخير ، كما تم إخضاع الأفغانين الثائرين . وبذلك نعم بابر بفترة من الهدوء والسلام إلى نهاية سنة ١٥٢٨ .

هزيمة الأفغان :

لم تضع هزيمة الأفغان حدا لشغبهم ونضالهم ، فقد عملوا بعد ذلك على مقاومة بابر باعتباره معتصبا للملك ، وكان الأمل يداعبهم أن ينجحوا في إحياء سلطانهم القديم ، فبدأوا بإثارة الشغب في بهار ، وجونپور بتأييدهم مطالب محمود لودي أخى ابراهيم . فأسرع بابر بإرسال ابنه عسكرى ، إلى الأقاليم الشرقية ، ثم لم يلبث أن لحق به بعد قليل ، ولم يكده يقرب من هذه الأقاليم حتى فر العدو هاربا ، ثم تلقى بابر أثناء انتقاله من الله أباد إلى بوكسر Buxar أنباء تفيد أن قواد الأفغان قد أذعنوا وخضعوا خضوعا تاما .

كذلك عقدت معاهدة بين بابر ونصرة شاه حاكم البنغال تنص على أن لا يحاول واحد منهما الاغارة على ملك الآخر ، ولكن نصرة شاه لم يلتزم المحافظة على هذه المعاهدة فقد استولى على ولاية ساسرام Sasram ولم يكتف بهذا بل آوى الأمير الأفغانى الهارب محمود لودي ، وبذلك اضطر بابر إلى مهاجمة البنغال - باعتبارها مركزا للأفغان الثائرين - واحتلالها .

انتاع امبراطورية بابر فى الهند :

كانت نتائج انتصارات بابر فى الهند أن حطمت قوى الأفغان وأن قضى على سلطان الراجبوت ، وبذلك أصبح بابر سيد الاجزاء الشمالية من الهند ، وواضع الاساس للامبراطورية المغولية .



ظہیر الدین محمد بابر

وأصبحت مملكة بابر تضم كابل، والبنجاب والبنغال، وبهار، وأود، وجزءا كبيرا من راجبوتانا، وكانت امبراطوريته تمتد من جبال الهملايا في الشمال إلى جواليمور في الجنوب، ومن البنجاب في الغرب إلى حدود البنغال في الشرق، وكان من الممكن أن يعمل على اتساع هذه الامبراطورية لو امتد به العمر ولكنه توفي بعد قليل.

وفاة بابر :

وكان صيف ١٥٣٠ شديد القيظ، وأثرت الحرارة في صحة ابنه همايون فسقط مريضا، وقد انزعج والده لمرضه انزعاجا شديدا، حتى أنه عرض أن يضحي بحياته لا تقاذ ابنه الحبيب، ويروى أنه طاف بفراش ابنه ثلاثا وهو يضرع إلى الله تعالى أن ينقل إليه المرض الذي يصيب ابنه : وكان بابر مخلصا في دعائه حتى إنه ليقال أنه صاح بعد اتمام طوافه : لقد حملته عنه ، ، ويذكر المؤرخون أن بابر أصيب منذ ذلك الحين بالضعف والوهن، واعتلت صحته في الوقت الذي أخذ فيه همايون يتماثل للشفاء .

سياسته وإدارته

حكم بابر كباد شاه أوكسيد للهند مدة تقل عن الخمس سنوات ، ولكن حكمه امتاز بالنشاط والحزم والعزم، وهي الصفات التي امتاز بها في نضاله الحربي ، فقد جعل من عاصمته أجرا مدينة جميلة تتخللها الحدائق النضرة والقصور الفخمة والحمامات والصحاريج والتقنات المائية، وأصدر بابر أوامره بترميم المساجد وإقام المحارس ومراكز البريد على مسافات متساوية ، وأنشأ نظاما لنقل البريد السريع بين كابل وأجرا ، وكان ينتقل خلال ملكه الجديد في الهند ليتفقد أحواله بنفسه، فجذب بذلك قلوب وعاياه من الهنود ، وبدأوا يطمنون لحكمه .

وكان نظام الحكم الذي اتبعه بابر هو النظام السائد في عصره ، فقد قسم المملكة

إلى إقطاعات ، ووزعها على قواده ، ولم تتح الفرصة لبابر ليضع لحكومته نظاما وقوانين جديدة ، ولو طال به العمر لاثبت أنه حاكم قدير .

وإن وصيته السرية « وصيتنا مى مخفى » Wasiyyat nama-i-makhfi .
التي تركها لابنه وخليفته همايون لتبين في وضوح سياسته في الحكم ، وهى السياسة التي ألزمها ابنه همايون ، والتي أتت أكلها في عهد أكبر وخلفائه . كانت هذه السياسة تدعو إلى السلام ، وتجعل التسامح الأساس الأول للحكم المغولى في الهند ، فهى بذلك تدل على عبقرية واضعها الإدارية . ولأهمية هذه الوصية ، ولأنها وثيقة تاريخية فريدة تدل على أن واضعها رجل من رجال الحكم المتقنين فقد آثرنا إثباتها هنا :

» الحمد لله

وصية سرية من ظهير الدين محمد بابر بادشاه غازى إلى الأمير ناصر الدين محمد همايون ، أطال الله بقاءه .

من أجل استقرار المملكة كتبت هذه الوصية :

أى بنى : إن دولة الهند مليئة بالعقائد المتباينة ، والحمد لله الحق العلى المجيد أن وهبك ملكها ، وإنه لمن الصواب أن تقدم بقاب خال من كل تعصب دينى على نشر العدل تبعا لعقائد كل جماعة من الناس ، وبوجه خاص أن تمتنع عن ذبح البقر ، فإن هذا هو السبيل لامتلاك قلوب الشعب فى هندستان ، ورعايا ممالكك سيخلصون لك الإخلاص كله إذا أحسوا منك حذبا وعظفا .

والهياكل وأماكن العبادة التابعة لكل فرقة دينية تحت حكمك يجب أن لا تخربها ، وانشر العدل بين الناس حتى يعيش الحاكم سعيدا مع رعاياه ، وحتى

يعيش الرعايا سعداء مع حاكمهم . وإن انتشار الإسلام ليتحقق بسلاح العطف والمحبة خيرا مما يتحقق بسلاح الضغط والاضطهاد .

تجاهل النزاع والتخاصم بين الشيعة والسنة ، ففي هذا منبت الضعف في الإسلام ، وضم الرعايا من مختلف العقائد حول التمسس الأربعة بحيث يصبح كيان الدولة محصنا ضد عوامل الضعف المختلفة .

وتذكر أعمال حضرة تيمور صاحب قراني (صاحب سياسة الوفاق) حتى تبلغ الرشد في أمور الحكم ، وليس علينا إلا النصيح .

غرة جمادى الأولى سنة ٩٣٥ ، ١١ يناير سنة ١٥٢٩ ، (١) .

وصف بابر للهند

يعرض بابر في وصفه هذا الأحوال السياسية في الهند وقت غزوه لها ، ويشير بوجه خاص إلى ما بها من حيوان ونبات ، وإلى عجزاتها الجغرافية ، ولكن آراءه عن السكان آراء ضعيفة كما يتضح من الفقرة التالية :

« هندستان بلد ليس به من المباحج التي يمكن أن نحصياها إلا القليل ، فأناسه ينقصهم الظرف ، وليس لديهم أى فكرة عن جمال الصداقة الاجتماعية ، أو

(١) أصل هذه الوثيقة مكتوب باللغة الفارسية ، وم محفوظ في المكتبة الحميدة Hamida Library في مدينة بهوبال Bhopal ، وقد نشرت هذه الوصية منذ مدة ولأول مرة في جريدة « القرن العشرين Twentieth Century » التي تصدر في مدينة الله آباد ، قام على نشرها ن.س. مهتا N. C. Mehta ، ومعهما ترجمة إنجليزية ، تحت رعاية صاحب المعادة نواب صاحب بهوبال Nowab Sahib of Bhopal ، ويلاحظ أن وصية بابر هذه تعتبر واحدة من جملة الفرمانات السلطانية التي كانت تصدر بين الحين والآخر عن سلاطين المغول في المناسبات المختلفة .

الاختلاط الصريح بين الأفراد بعضهم والبعض الآخر ، أو الالفة المتبادلة ،
وليس فيهم نبوغ أو سعة في التفكير أو أدب في السلوك ، وليس من خلقهم
العطف والود الإنسانى ، وتنقصهم البراعة والابتكار الميكانيكى عند التخطيط
أو القيام بأعمالهم اليدوية ، وليس لديهم المعرفة أو الخدق فى التصميم أو العمارة .

ولا خيل عندهم أو لحم طيب أو أعناب أو بطيخ أو فاكهة طيبة ، أو ثلج
أو ماء بارد ، ولا يوجد فى أسواقهم طعام أو خبز جيد ، وليس لديهم حمامات
أو مدارس ، أو شموع أو مشاعل ، أو حتى شمعدانات .

وبدلا من الشمعة أو الشعلة ترى عصابة من الرجال القذرين الذين يسمونهم
« ديفاتى Divatis » ، يسكون فى أيديهم اليسرى نوعا من القوائم الخشبية الثلاثية
الأرجل ، وفى جانب إحدى هذى الأرجل يثبتون قطعة من الحديد تشبه الجزء
العلوى من الشمعدان ، وفى رجل ثانية يثبتون بمسمار حديدى فتيلة لينة فى حجم
الإصبع الوسطى ، ثم يسكون فى اليد اليمنى قرعة بها ثقب يسكون منه الزيت
ليمر فى مجرى صغير ، وكلما احتاجت الفتيلة إلى زيت أمدوها به من هذه القرعة ،
ويوجد فى العادة لدى عظماء الرجال مائة أو مائتان من هؤلاء الديفاتى ، .

ويستمر بابر فى وصفه فيقول :

« إنه لا توجد فى الهند قناطر أو قنوات مائية ، ولا يتصف الهنود بالكياسة
أو النظام ، حتى إن الفلاحين والعمال يتجولون عراة وليس عليهم ما يسمى
باللانجوتى « Langoti » ، لستر العورة ، .

ومع هذا فإن بابر يتحدث بإعجاب عن ثروة الهند من الفضة والذهب
ويقول إنه لم يكن بها عوز للعمل ، بل على العكس كانت فرص للعمل متوفرة ،
وكانت التجارة مزدهرة ، وأن الجو كان لطيفا فى موسم الأمطار .

ولكن يجب أن نلاحظ أن الفترة التي عاشها بابر في الهند لم تكن كافية لتكوينه من التعرف على أخلاق الهنود الحقيقية ، وعلى عاداتهم وتقاليدهم وآرائهم ، لهذا يجب أن نأخذ آراءه عن الهند - وبوجه خاص ما قلناه عن الشعب الهندي - بحرص شديد .

مذكرات بابر

هذه الفقرات مأخوذة عن سيرة بابر التي كتبها بنفسه ، وهذه السيرة تمدنا بأحسن وصف لمؤلفها ، وقد كتبت بأسلوب جميل معبر ، ولهذا فهي تحتل مكانة خاصة بين أجمل ما وصلنا إليه من كنوز الأدب التاريخي الهندي ، ولا زالت تنال تقديرا عالميا لسهولة تعبيرها ، ولسمو أسلوبها ، ولأصالة وصدق حنوياتها ، ولكن أحسن ما يمتاز به هذه السيرة هو الوضوح في تصوير شخصية مؤلفها .

إنما ترسم صورة لباबर بألوانها الحقيقية ، فتعرضه أمام القارئ بفضائله ورذائله ، فهي لهذا تحتل بمجدارة مكانها إلى جانب أحسن السير الشخصية التي كتبت في العالم ، ولكنها تبقى فريدة بين ما كتب من سير شبيهة لها في آسيا .

هذه السيرة تعرض لنا صور بابر ، ورجال دولته ومعاصريه في ملابسه ومظهرهم وأذواقهم ، ونضالهم ، وأخلاقهم وعاداتهم وهواياتهم كأحسن ما تكون الصور التي تعكسها المرأة المصقولة .

كما أنها تمدنا بوصف دقيق للبلاد التي زارها بابر ، ولظواهرها الطبيعية وإنتاجها ، وأعمالها الفنية والصناعية .

وإلى هذا كله فإن سيرة بابر كما كتبها بنفسه تمتاز بما يتخللها من تعليقات المزلف الحاذقة وانطباعاته الحية ، فهو كثيرا ما يستطرد عند ذكر الحوادث وهو في استطراده يضيئ على ذكرياته نكهة نفاذة نادرة المثال .

الفنونه الجميلة :

كان بابر محبا للفنون الجميلة ، وبفضل رعايته وتشجيعه ازدهرت كثير من الفنون في عهده ، مثل : العمارة ، والشعر ، والتصوير ، والموسيقى والعناية بالحدائق ، وفن توضيح الكتب بالصور الملونة .

واقعد عمل بابر بنفسه على ترقية هذه الفنون وشجع أولئك الذين كانوا يعنون بالمهن المشابهة . وكان بابر يتمتع بذوق جمالى رفيع ، وخير دليل على هذا أنه رغم حياته المناضلة العاصفة كان يجد الوقت الذى يخصه لإشباع ميوله الفنية .

العمارة :

كانت ابابر عناية كبيرة بالعمارة ، ولم تعجبه العائر التى رآها فى دلهى وفى أجرا ، ولكنه أوجب كثيرا بالعمارة فى جوالپور . وكان رأيه سيئا فى الفن الوطنى ومهارة الأهلين ولهذا فقد استحضر من القسطنطينية التلاميذ الموهوبين لسنان المهندس المعمارى المشهور ليصمموا له مبانيه التى تتفق مع ذوقه الجمالى .

لقد كتب فى مذكراته :

« فى أجرا وحدها ، ومن بين الحجارين فى هذا المكان وحده استخدمت فى كل يوم أبناء قصورى ٦٨٠ رجلا ، وفى أجرا وسكرى وبيانا Bianah ودهولپور Dholpur وجوالپور وكويل Koil كان يستخدم فى منشآت كل يوم ١٤٩١ حجارا » .

غير أنه من المؤسف حقا أن كل منشآت بابر الجميلة قد اندثرت ولم يبق منها غير أثرين اثنين : مسجده الكبير فى كابل باغ Kabul Bagh فى بانيات ، والمسجد الجامع فى سامبهاى Sambhal .

الشعر :

ولد بابر ليكون شاعرا ، ولهذا فقد عشق الشعر منذ شبابه الأول ، وقد ترك بابر ديوانا من شعر كتبه باللغة التركية نجد الكثير منه في كتاب
• Tuzk-i-Babari

ويروى أبو الفضل أن مجموعة من المثنويات الفارسية من إنشائه أسماها
« مبین » ، وكانت كثيرة التداول في أيامه . وإلى هذا ، فقد ألف بابر
كتبها كثيرة ، من بينها كتاب في العروض اسمه « المنصل » ، ويقول عنه مؤلف
« تاريخي رشیدی » : Tarikh-i-Rashidi :

« لقد كان بابر في إنشائه الشعر التركي ثانياً حين بعد أمير على شير » : Amir
« لقد ابتكر نوعاً من العظم يقل له « المبین » ، كما ألف رسالة مفيدة » : الفقه
« المبین كان يعمل بها غالباً ، وكتب رسالة في العروض التركي تمتاز » : الح على
غيرها ، ونظم الرسالة الوايدية » .

كان بابر ذا مزاج مرح ، ولهذا كان كثيراً ما يعقد مجالس « للشاعرات
Mushaeras » ، حيث يتبارى الشعراء في ارتجال أو إلقاء الأشعار باللغتين الفارسية
والتركية .

وفي مذكرات بابر إشارة إلى ندوة من رجال الأدب اجتمعت مرة في قارب
حيث أخذ بابر ورفقاؤه الأدباء في إنشاد الأشعار للتنسرية عن أنفسهم ، وكان
تأثير هذه النزعة الأدبية الفكركية شديداً على نفس بابر وعقله ، لدرجة أنه أثناء
معاركه كان يختلس بعض الوقت ليقضيه في الإصغاء لإنشاد الشعراء ، أو
لمناقشات الجهابذة من العلماء ، وكثيراً ما كان يدلي هو بدلوه مع الشعراء فينشده
يلتا أو يبتين من الشعر ليسهم مع المجتمعين في سرورهم .

التصوير :

وكان بابر ذراقة لفن التصوير ، ويقال إنه أحضر معه إلى الهند نجبة مختارة من الصور الفنية التي جمعها من مكتبة أسلافه التيموريين ، وقد نقل بعض هذه الصور فيما بعد إلى إيران ، نادر شاه ، بعد غزوه الهند واستيلائه على مدينة دلهي . ولكن هذه الصور كانت إبان وجودها في الهند ذات تأثير قوى على فن التصوير هناك .

الرسائل :

وعنى بابر كذلك بالموسيقى عناية خاصة فقد كان عليا بأصولها ، وخير دليل على هذا تلك الرسالة الصغيرة التي كتبها عن الموسيقى ، فإن ما بها من معلومات وثيقة يدل على أن بابر كان محبا للموسيقى عارفا بأصولها الفنية .

فن ترويض الكلب بالصور :

كان بابر أول من أدخل فن ترويض الكلب بالصور إلى الهند ، وإن مذكراته لتقدم لنا خير نموذج لهذا الفن ، فإنها مليئة بالصور الإيضاحية الملونة التي تضيء على الكتاب رواء وجمالا فائقين ، وخاصة تلك الصور الملونة الرائعة للحيوانات التي ورد ذكرها في الكتاب .

فن تنسيق الحدائق :

وكان بابر من عشاق الحدائق ، وفي مذكراته إشارات كثيرة للأزهار والرياحين المنضرة ، ومن بين الحدائق الجميلة التي أنشأها حديقة باغى وفا Bagh-i-Wafa وحديقة باغى كيلان Bagh-i-Kilan بالقرب من كابل ، وحديقنا : رام باغ Ram Bagh وزهرة باغ Zohra Bagh في أجرا .

ومن المؤلفين حقا أن كثيرا من هذه الحدائق قد انقلبت إلى أرض زراعية ،

ومع هذا لا يزال هناك عدد منها يشهد على ما كان يتمتع به منشؤها من أباطرة المغول من ذوق فنى رفيع .

فلقد كانت هذه الحدائق بما تضمه من أزهار جميلة وطيور رائعة وحيوانات طريفة والجم الغفير من الحور والولدان تمثل عظمة المغول خير تمثيل .

الصحرة الأدبية :

كان بلاط بابر يضح بعدد كبير من العلماء الأفاضل والأدباء الممتازين ، نذكر منهم :

غياث الدين محمد خدامير Khudamir المؤرخ الفارسى المشهور ومؤلف كتاب « حبيب السير » ، وكتاب « خلاصة الأخبار » ، وغيرهما من الكتب الكثيرة الأخرى .

ومولانا شهاب الدين الشاعر ومؤلف الأغاز والكاظم الفكاهى المشهور .

ومير إبراهيم أحد أبناء مدينة هرات ولعب القانون الماهر .

أما العلماء المقربون إلى بابر فكان من بينهم رائده الخاص الشيخ مازى Mazi ، والشيخ زين خافى Zain Khafi مترجم كتاب « واقعات بابرى Waqiyat-i-Babari » ، ومولانا باقى ، وهو واحد من كبار علماء عصره .

ويجب أن نشير كذلك إلى ذلك العلامة وزير ملك هرات ، فقد كان يساعد بابر مساعدة لها قيمتها فى جميع أعماله الأدبية ، وهذا الوزير كان أميناً على مكتبة ضخمة تضم عدداً كبيراً من الكتب القيمة التى عني بجمعها ملك هرات .

الرأى فى بابر

ولا نستطيع أن نختتم القول عن بابر بما هو خير مما قاله المؤرخ ، ستانلى لين بول ، ، فقد قال عند تقديره لأعمال بابر :

« إن مكان بابر الخالد فى التاريخ يرتكز على غزواته فى الهند التى مهدت الطريق لقيام إمبراطورية تولى حكمها عدد من نسله أكثر مما ترتكز على مخاطراته الجريئة وجهوده التى بذلها فى السنوات الأولى من حياته ، أو على مذكراته الطريفة التى روى فيها أخبار هذه المخاطر والجهود .

ومع أن بابر كان جنديا مغامرا ، فقد كان كذلك أديبا ذواقا ذا بصيرة نفاذة نقادة .

كان بابر شاعرا مجيدا فى اللغة الفارسية ، لغة الثقافة فى ذلك العصر ، كما كان يملك ناصية لغته القومية ، اللغة التركية ، فكان أسلوبه فيها - نظما ونثرا - أسلوبا نقيًا خالصا من الشوائب .

وكان الأمراء الأتراك فى عصره يفتخرون بثقافتهم الأدبية ، فكان الواحد منهم بطمح أن يتفوق فى مطاردة غزال ظريف ، أو نسخ كتاب بخط جميل ، ولم تكن هذه الأعمال عندهم أقل قيمة من المهارة فى حمل السيف أو الضرب بالرمح ، فالفطنة والمعرفة والقدرة على ارتجال رباعية من رباعيات الشعر ، أو الاستشهاد بالآداب الفارسية القديمة ، أو الخط الحسن ، أو ترديد أغنية جميلة ، كل هذه الأشياء كانت تقدر فى عصر بابر تقديرا خاصا لا يقل عن تقدير القوم للجرأة والشجاعة أو الفضيلة .

وكثيرا ما كان بابر نفسه يقطع حديثه أو روايته لبعض القصص ليستشهد ببیت من الشعر ، كما كان يلتمس بعض الوقت خلال متابعه والاختطار المحيطة به

التي فيه في نظم قصيدة يشكو فيها الحطوب التي أصابته ؛ والحقيقة أن بابر استطاع أن يصور حروبه ومبازله تصويراً إنسانياً في نفثات شعره .

ويستطرد لين بول في وصفه وتقديره لمواهب بابر قائلاً :

« وفي الجملة لو أننا استعرضنا تاريخ آسيا ونظرنا إليه نظرة غير متحيزة فإننا نجد أن عدداً قليلاً من الأمراء يستطيع أن يتناول إلى مكانة أرفع من مكانة بابر في عبقريته وثقافته ، وإن كان من الجائز أن يرتقى حفيده أكبر مكانة أعلى من مكانته في سياسته الخازمة السمحة ، إن مواهب جنكيزخان وتيمور لئن تقف بهما عند غزواتهما وحروبهما لرائعة ، وهما يوازن بابر دون شك في هذا الميدان ، أما في النشاط الفكري ، ورباطة الجأش ، والروح التي لا تفقد اتزانها في السراء والضراء . والتجلى بالفضائل الاجتماعية فإننا قل أن نجد شيئاً يماثل بابر بين الأمراء ، ونحن لا نستطيع كذلك أن نجد أميراً آسيوياً آخر يقارب بابر في حبه للآداب ورعايته لها وعمله على نشرها . »



قبر بابر — مدینه کابل

الفصل الثاني

ناصر الدين محمد همايون

(١٥٣٠ - ١٥٣٩ ثم ١٥٥٦)

تقرئة :

قبل نهاية سنة ١٥٣٠ يومين اثنين ارتقى همايون عرش أبيه ، وأقيمت
الافراح في كل مكان احتفالا بتوليته ، ولقب منذ ذلك اليوم بناصر الدين
محمد همايون .

ولم يقدر لهذا الملك الجديد أن ينعم بملك مستقر هادئ ، وقد يرجع هذا
من ناحية إلى أنه هو شخصيا كان يعمل أحيانا على خلق المتاعب ، وإلى أنه من
ناحية أخرى لم يكن ندأ لمنافسه شيرشاه Sher Shah في السياسة وفن الحكم .

تقسيم الامبراطورية :

واقف حرص همايون على اتباع نصائح والده ، فعين أخوته حكاما على
الأقاليم المختلفة .

فولى أخاه كامران Kamran حاكما على كابل وقندهار .

وأخاه ميرزا هندال Mirza Hindal حاكما على ألوار وموات
. Alwar and Mewat

وأخاه ميرزا عسكري Mirza Askari حاكما على سامبهال Sambhal .

كما عين ابن عمه ميرزا سليمان Mirza Sulaiman حاكما على بدخشان
. Badakhshan

غير أننا نلاحظ أن هذا التقسيم كان السبب الأكبر في ظهور الدسائس والمؤامرات التي قام بها هؤلاء الأخوة فيما بعد ، والتي أدت إلى إضعاف الإمبراطورية المغولية في الهند .

المحنة السياسية في الهند وموقف همايون :

لم يطل العمر بيا بر - كما سبق أن أسلفنا - ليتمكن من تقوية هذا الملك الذي أقامه ، ولم يكن همايون من القوة والذكاء بحيث يستطيع أن ينجز ما لم يستطع أبوه إنجازه ، بل إنه على العكس أضاف إلى متاعبه متاعب جديدة ، فقد كان من عيوبه اللين والتناقض .

كانت أحوال الهند السياسية عند تولي همايون سيئة . فقد كان هناك في الشرق والغرب من يدبر الأمر للقضاء على حكم المغول . ففي الشرق ، في البنغال وبهار ، كان يوجد شيرشاہ أفغان Sher Shah Afghan ؛ وفي الغرب ، في جوجرات Gujarat كان يوجد بهادر شاه Bahadur Shah .

كذلك كان أخوة همايون من القوة بحيث يستطيعون أن يتطلعوا لعرش أبيهم ، أما الأمراء وكبار القواد الذين كان همايون قد منحهم الإقطاعات الكبيرة فقد كانوا يملكون حينذاك عصب الحرب وأسلحتها . وقد استخدموها فعلا في حروبهم المتبادلة ، بل وضد إمبراطورهم همايون نفسه ، ولم تنقطع مؤامراتهم ولم تتمنع دسائسهم ضده في سبيل أن يدفعوا رجالهم هم إلى الأمام . وقد اتتمر ضده واحد من هؤلاء القواد يدعى محمد زمان ، ولو نجح في مؤامراته لتغير تاريخ المغول ، ولكن سر المؤامرة كشف ، والتجأ محمد زمان إلى جوجرات حيث انضم إلى بهادر شاه .

كذلك تطلع إلى عرش المغول علاء الدين لودي ، أخو السلطان إبراهيم

لودى ، وأرسل جيشا قوامه ٥٠٠٠ ر.م. جندى يقوده ابنه تاتارخان Tatar Khan لمحاربة همايون ، وتقابل الفريقان فى بياناه Bianah ، ولكن تاتار هزم وقتل .

كامرانه Kamran يستولى على البنجاب :

عهد كامران بالحكم فى كابل وقندهار لأخيه عسكرى ، ثم خرج على رأس جيش كبير لمقابلة همايون ، مدعيا أنه إنما خرج لتنهته بمناسبة توليه العرش ، غير أن همايون لم يكن من السذاجة بحيث تخدعه هذه الحيلة ، فأسرع وأرسل إلى أخيه رسولا ينبئه أنه قد أصدر قرارا بضم لمغان Lamghan وبشاور Peshawar لمقاطعته فى كابل .

ولكن كامران لم تقنع بهذه الترضية ، وعبر نهر السند ، واستولى على إقليم البنجاب وعظمه إلى ملكه فى كابل وقندهار .

أما همايون فقد آثر السلامة واستسلم الأمر الواقع وتحاشى أن يدخل فى حرب ضد أخيه ، ولكنه كان - فى هذا - مخطئا خطأ جسيما ، فان الاستيلاء على البنجاب بوجه عام ، وعلى حصار فيروزا Hissar Firoza بوجه خاص ، كان ضربة قاصمة ، وذلك لأن ضياع البنجاب لم يفقده إقليما من أخصب الأقاليم وأغناها وحسب ، بل أقام حاجزا بينه وبين مركز المغول الحربى فى شمال الهند الغربى ، وهو مركز غنى غنى كبيرا بالإمكانات الحربية . كما أن الاستيلاء على حصار فيروزا Hissar Firoza جعل لكمران السيطرة على الطريق الحربى الجديد الذى يربط بين دلهى وقندهار ، وأصبح من اليسير عليه أن يقطع السبيل على قوى همايون الحربية .

القتال مع بهادر شاه فى موهمرات :

وسرعان ما استدعى همايون لمواجهة بهادر شاه أحد أعدائه الخطيرين . كانت جوجرات من أغنى أقاليم الهند وأكثرها قوة ، وكان حاكمها رجلا شديدا

الطموح ، وتحت يده موارد مالية ضخمة ، وقد عمل - قبل اشتباكه مع همايون - على تقوية جيشه وزيادة عدد فرسانه ، وكان قد استولى على مالوا Malwa بمساعدة رانا موارد Rana of Mewar ، كما دان بالولاء ملوك أحمد نجار Ahmadnagar وخاندش Khandesh وبرار Berar ، واهترف البرتغاليون بسيادته ، ثم بدأ بعد ذلك يعد العدة لجولة أكبر وأخطر ، لغزو هندستان كلها . فالتحق بجيشه رؤساء الأفغان وأمراء المغول الذين كانوا لجأوا إلى مملكته واتخذوها مأوى لهم ، والذين كانوا قد اشتركوا في رسم الخطة للاستيلاء على الهند مع الإمبراطور المغولي بابر .

وخرج همايون للملاقاته ومعاقبته على السماح بإيواء أعدائه ، وقد أساء بهادر شاه تقدير المقدرة الحربية التي يمتاز بها منافسه ، وحاول أن يقلد الأساليب الحربية التي استخدمها بابر في معركة بانيبات ، وتوقع أن يكرر منافسه الخطأ الذي ارتكبه من قبل إبراهيم لودي بأن يدفع بجيوشه لمقابلة مدفعيته .

ولكن همايون كان قد اكتسب خبرة كبيرة بفنون الحرب أثناء قتاله كجندي في جيش أبيه ، ولهذا لم يقع في الفخ الذي أعد له ، بل على العكس أرسل فرقاً من فرسانه لتستولى على غلات الأقاليم المتصلة بمؤخرة جيش عدوه بهادر شاه ، وتمنع عنه الإمدادات .

وكانت النتيجة أن اشتد الحصار بسكان جوجرات وانتشرت بينهم المجاعات ، واضطر بهادر شاه أن يفر مع نفر من أتباعه المخلصين بعد أن حطم مدافعه ، وطارده همايون من مكان إلى مكان إلى أن لجأ أخيراً إلى البرتغاليين في ديو Diu .

وضم همايون إليه جزءاً كبيراً من جوجرات ومالوا Malwa ، ولكن النصر أعماه هو وأصحابه ، فلم يتخذوا الإجراءات الجدية للإقامة الدائمة في

هذه الأقاليم المفتوحة ، بل انصرفوا إلى إقامة الأفراح والاحتفالات .

واستفاد بهادر شاه من هذا الإهمال ، وبدأ في الحال بمراعاة قائده المخلص عماد الملك ، الذي أسرع باحتلال أحمد آباد ، وكون لسيده جيشاً كبيراً ، وفي نفس الوقت كان البرتغاليون قد وعدوا بتقديم المساعدة لبهادر شاه . كل هذه الإجراءات أيقظت همايون من غفوته ، وأشاعت الرعب في نفسه ، فتقدم في الحال لملاقاة عماد الملك ، وانتصر عليه .

وحسب همايون أن الأمور قد استقرت في جوجرات ، فعهد بالحكم فيها إلى أخيه عسكري ، وتقدم هو لملاقاة شيرشاه أفغان الذي كان يقود ثورة خطيرة في إقليم بهادر .

وقد أثبت عسكري - أثناء غياب أخيه - عجزه التام ، وكرهه قواد جيشه لصلفه وغلظته . وكان بهادر شاه يترقب هذه الفرصة ، فتقدم في الحال لمهاجمة أحمد آباد واستولى عليها ، وسرعان ما استعاد ملكه المفقود شيئاً فشيئاً ، ولكنه لم يقدر له أن يجني ثمار انتصاراته ، فقد مات غريقاً في سنة ١٥٣٧ .

القتال مع شيرشاه أفغان :

عندما اقتربت جيوش همايون من حدود البنغال أسرع الأفغان المختل بالانسحاب نحو بهار ، وفي غيابه استولى المغول على مدينة جور Gaur عاصمة الإقليم وسموها جنة آباد Jannatabad .

ومرة ثانية عندما استولى شيرخان على ممتلكات المغول في بهار وجونبور Jaunpur تحركت جيوش همايون لإيقافه عند حده ، وهرب همايون بجميوشه نهر الجانج Ganges واتجه نحو بهار ، ولكنه هزم عند تشوسا Chausa واضطر إلى التمرار .

وفي هذا الموقف الحرج التمس مساعدة أخوته الذين سبق له أن أكرمهم غاية الإكرام ، ولكنهم لم يرفضوا معاوته وحسب ، بل أسهموا في العمل على نجاح عدوه بعرة الاستعدادات التي كان يتخذها .

وقد توج شيرخان نفسه ملكا بعد انتصاره في تشوسا Ghausia واتخذ لقب شيرشاه ، ثم عبر نهر الجانج وأنزل بهمايون هزيمة شنعاء عند مدينة كانوج Kanauj ، ثم طرده من الهند .

همايون في المنفى :

إن قلم القاص أقدر من قلم المؤرخ على تصوير فرار همايون من الهند ، وما أصابه من بلايا بعد هذا الفرار ، فإنه بعد هزيمته في كانوج عبر نهر الجانج ووصل إلى أجرا ، ثم إلى سرهند Sarhind ، أما أخوته الذين نالوا الكثير من خيره فيما مضى فقد امتنعوا عن مساعدته أو حمايته ، بل لقد زادوا في متاعبه وضاعفوا إزعاجه .

تقدم همايون نحو السند وحاصر بهكار Bhakkar ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها . وفي هذا الوقت تزوج همايون من البيجوم حميدة بانو Hamida Bano Bagum ابنة الشيخ علي أكبر جامي .

وتملك همايون اليأس فلجأ إلى مالدها Maldeva ، راجا جودهپور Rajah of Jodhpur ، فوعده أن يمدّه بم جيش يتكون من عشرين ألفا من الراجپوت Rajputs ، ولكنه لم يكده يقترب من حدود ملكه حتى أدرك أن هذا الراجا يضمر له شرا .

وأخيرا حاول همايون أن يجد ملاذا في أمركوت Amarkot حيث استقبله

رانا براساد Rana Prasad استقبالا حافلا ، ووافق أن يساعده على مهاجمة ثاتا Thatta وبهكار Bhakkar .

وفي هذا المأوى وضعت إمبراطورة الهند المستقبلة أعظم أباطرة الهند وأكبر ، ، وبعد أن احتفل همايون بهذه المناسبة السعيدة تقدم لمهاجمة بهكار يساعده رانا براساد Rana Prasad . غير أنه أسوء الطالع نشب خلاف في ذلك الوقت بين المسلمين والراجبوت ، وكان من نتيجته أن انسحب الراجبوت من جيش همايون ، ولم ينقذ الموقف إلا أن أمير بهكار سئم من طول القتال فطلب إيقافه ، وكان من شروط الاتفاقية التي عقدت بينهما أن قدم لهمايون ثلاثين قارباً ، وعشرة آلاف مثقال ، وألني حل من الغلة ، وثلاثمائة جل .

وتقدم همايون بهذه المعدات قاصداً إلى قندهار ، ولكن قندهار لم تكن بالمدينة التي تصلح لإقامته فقد كانت محفوفة بالأخطار ، وذلك لأن أخاه كامران كان السيد الوحيد لبلاد الأفغان ، وكان الأخوان الآخرون : عسكري وهندال قليلين تابعين له .

وبدأ همايون يفكر ثانية في البحث عن ملجأ آخر يأوي إليه ، وأخيراً ترك طفله الصغير أكبر - وكان قد حال عليه الحول - في مدينة قندهار ، وتقدم قاصداً إيران بعد أن كتب إلى الشاه ينبئه بعزمه على زيارته .

همايون في بطور فارس :

وعندما علم طهماسب Tahmasp - شاه فارس - بنبأ هذه الزيارة ، أصدر أوامره إلى قواده أن يستقبلوا همايون عند وصوله استقبالا ملكيا يليق بمكانه . ويقال إنه كان يهدف من وراء هذا الاستقبال الحافل إلى أن يغرى ضيفه بالتحول عن المذهب السني إلى المذهب الشيعي ، وقد أبدى همايون امتعاضه من هذا

العرض أول الأمر ، ولكنه استمع أخيرا لنصيحة مستشاريه وقبل أن يغير مذهبه ، فوعده الشاه بالمساعدة وأن يزوده بجيش يعينه على غزو كابل وقندهار وبخارى .

همايون يستعيد كابل وقندهار من أخيه كمران :

وتقدم همايون على رأس جيش يتكون من ١٤,٠٠٠ جندي لمهاجمة مملكة أخيه كمران ، فاستولى على قندهار ، ثم هزم أخاه كمران عند كابل ؛ وبعد هذه الهزيمة قتل ميرزا همدان . أما كمران فقد فر ولجأ إلى بلاط السلطان سليم شاه ، ولكنه لم يجد لديه ترحيبا ، فلجأ مرة ثانية إلى مملكة جاخار Gakhar ، ولكن رئيس الجاخار عامله معاملة غير رحيمة ، ثم أسلمه إلى أخيه همايون .

وتذكر همايون وصايا والده فأشفق على أخيه ولم يقتله ، ولكنه سمل عينيه حتى لا يتمكن من إثارة المتاعب عنده في المستقبل ، وإجابة لرغبته أرسل بعد ذلك إلى مكة في صحبة زوجته التي أثبتت ترعاه وتخدمه بإخلاص إلى آخر يوم من أيام حياته .

وتمكن همايون كذلك من القبض على أخيه الثالث ميرزا عسكري وسمح له بالرحيل إلى مكة .

وهكذا استطاع همايون أن يقضى نهائيا على المتاعب التي أثارها أخوته ، ثم بدأ يعد العدة بعد ذلك لاستعادة مملكته في الهند .

عودة همايون إلى مملكته في الهند :

وكان همايون يرقب الأحداث التي تجري في الهند ، ويتربص الفرص للعودة إليها ، وفي سنة ١٥٥٥ استجاب لدعوة بعض ذوي النفوذ من الهنود ، وخرج على رأس جيش كبير واستولى على لاهور دون مقاومة ، وكان سكندر سور

Sikandar Sur قد هبث بأموال الدولة ، فتقدم لمقاومة همايون ، ولكنه هزم هزيمة شنعاء وفر هارباً .

ودخل همايون ثانية إلى عاصمته القديمة دلهي في احتفالات بهيجة ، وحكم امبراطوريته الهندية مدة يسيرة بعد ذلك لا تتجاوز الإثني عشر شهراً ، وفي الرابع والعشرين من يناير ١٥٥٦ سقط همايون من شرفة مكتبته فأصيب ، وكانت هذه الإصابة سبباً في وفاته .

مآثر همايون :

كان همايون يتمتع بذاكرة قوية ، ولهذا فقد أحرز تفوقاً ملموساً في كثير من الفنون والعلوم في شبابه الأول ؛ فهو على سبيل المثال كان عباً للشعر ، كما كان شاعر ممتازاً ، وله أشعار تمتاز بالبلاغة وقوة التعبير .

وكان همايون بارعاً في علم الفلك ، وعالماً من علماء الجغرافيا ، وألف جملة من الرسائل عن طبيعة العناصر ، وبعد توليه هرش الهند أمر العلماء بعمل كرات فلكية وكرات أرضية .

ويقول فرشتا Ferishta إنه أنشأ سبع قاعات للاستقبال ، وسماها بأسماء الكواكب السبعة :

- فالقضاة والسفراء والشعراء والرحالة كانوا يستقبلون في قاعة القمر .
- والقواد ورجال الجيش كانوا يستقبلون في قاعة المريخ .
- والرؤساء المدينون كانوا يستقبلون في قصر عطارد .
- ورجال الأدب كانوا يستقبلون في قصور زحل والمشتري .
- والموسيقيون والمثشدون كانوا يستقبلون في قاعة الزهرة Venus .

وقال صاحب « تاريخ رشيدى Tarikh-i-Rashidi » :

« إننى لم أر إلا قلة من الأمراء الذين يسمعون بما يتمتع به همايون من مواهب طبيعية ، .

ويقول مؤرخ هندى آخر :

« كانت طبيعته الطيبة النبيلة يتمثل فيها مزيج من نشاط الاسكندر وعلم أرسطو ، .

الأعمال البارزة :

وفى عهد همايون اشتهر البلاط المغرى بالجلال والفخامة ، وإلى همايون يرجع الفضل فى ابتداء بعض المبتكرات ، فقد كان نجاروه يعملون على تنفيذ تعليماته حين أنشأوا له أربعة قوارب وأنزلوها فى نهر جمنه Jumna .

كان كل قارب منها يعلوه قوس ، وطبقتان من طبقات هذا القوس تعلوان فى الجسو علوا كبيرا ، وإذا وضعت القوارب معا بحيث تصبح الأقواس متقابلة تتكون منها نافورة مشعة تثير إعجاب الناظرين .

وكانت هذه القوارب مزودة بالأسواق والخوانيت ، وكثيراً ما كان الإمبراطور يبحر فيها مع خاصته من فيروز آباد دلهى إلى أجرا ، وبذلك كان يتحرك على نهر جمنه سوق عائم يستطيع أن يجد فيه الإنسان كل ما يشتهى ، كذلك أقام بستانيو القصر للملكهم حديقة عائمة على سطح نهر جمنه .

ولكن أعجب أعمال همايون الإبداعية كان القصر المتحرك ذا الطابق الثلاث . كانت أجزاء هذا القصر المصنوعة من الخشب تتركب بمهارة فائقة حتى تبدو وكأنها قطعة واحدة غير مفصلة الأجزاء ، ولكنها كانت تفك إلى أجزاء عند اللزوم ، وكانت السلام المؤدية إلى الطابق العلوى مصنوعة بمهارة فائقة بحيث كان من اليسير تطبيقها أو فكها .

ومن منشآت همايون كمدالك جسر متحرك لم يكنز أقل عجباً من هذا القصر
أو تلك القوارب .

الإدارة :

اتنظيم إدارة ملكه قسم همايون حكومته إلى أربعة أقسام تبعاً للعناصر
الأربعة :

آتش Atish (النار) ، وباد Bud (الهواء) وآب Ab (الماء) ، وحاك Khak
(الأرض) . وعين وزيراً خاصاً للإشراف على كل قسم من هذه الأقسام .
فأعمال المدفعية وتنظيمات الأسلحة وكل ما يتصل بالنار كان يكون إدارة
منفصلة تسمى Sarkar - i - Atishi يشرف عليها خواجه عبد الملك
Khawajah Abdul Malik

وأعمال الاصطبلات Karqiraq Khana (godown) والمطبخ Bawarchi
Khana واصطبلات الجمال Shutar Khana وغيرها كانت تكون إدارة اسمها
ساركارى هوائى Sarkar - i - Hawai ، ويشرف عليها خواجه لطف الله .
وأعمال شربات خاناه Sharbat Khana ، والحواصل Mastuchi Khana ،
وإنشاء الترع ، وكل الأعمال المتصلة بالماء كانت تجمعها إدارة واحدة تسمى
« الإدارة المالية Sarkar - i - Abi » ، ويشرف عليها خواجه حسن .

وشؤون الزراعة والمباني والإشراف على أراضي الخاصة الملكية والقصور
كانت تكون الإدارة الرابعة وتسمى « الإدارة الأرضية Sarkar - i - Khaki » ،
ويشرف عليها خواجه جلال الدين مرزابك .

طبيل العمالة :

عنى همايون عناية خاصة بشهر العدالة فى كل مكان ، فأوجد مايسمى بطبل
العدل « Adl - i - Tabl » ، ووضع له نظام يقضى بأن يدق صاحب الشكوى هذا الطبل
مرة واحدة إذا كان يشكو من عداوة عدو ، وأن يدقه دقتين إذا كان قد أخطأه

الإنصاف ، وأن يدقه ثلاث دقات إذا كان قد سرق منه شيء ، وأن يدقه أربع دقات إذا كانت الحادثة حادثة قتل .

وقد يكون من الملاحظ أن هذا الطبل لم يكن يستعمل كثيرا ، ولكن فكرة إنشائه تدل على شعور الإمبراطور بالعدل وعنايته بشربه واستنباذه .

تصنيف الشعب :

وقد صنف همايون سكان مملكته تصنيفا دقيقا ، وأقام نظاما محكما للطبقات ، وأنشأ القصور لاستقبالهم ، وحدد أياها خاصة لمقابلة كل طبقة من طبقات الشعب . وكانت الطبقة الأولى هي طبقة أهل السعادة Ahl-i-S'adat وتشمل الفقهاء والأعيان وعلباء الدولة .

أما الطبقة الثانية ، طبقة أهل الدولة Ahl-i-Daulat من سعاة القوم ، فكانت تشمل أقارب السلطان ووزراءه والنبلاء وقواد الجيش .

والطبقة الثالثة ، طبقة أهل المراد Ahl-i-Murad ، فكانت تشمل الموسيقيين والمغنين ورواة القصص (الشعراء) وأهل الفن والذوق ، وإذا كان أهل هذه الطبقة يعتمدون في حياتهم على الهبات التي يمنحهم إيها السلطان فقد كان من الواجب أن يسموا أهل الطرب ، ، فقد كانت مهمتهم إدخال السرور على نفس السلطان عن طريق الأغاني والموسيقى والجمال .

وكان رئيس كل طائفة من هذه الطوائف يمنح سهما علامة على تشريفه ، ويخبرنا المؤرخ المعاصر خودامير Khudamir أنه في وقت خدمته منح سهم السعادة لمولانا محمد فرغلي يمثل أهل السعادة ، وكان من اختصاصه تحديد الرواتب والمنح التي تعطى للأشراف والشيوخ والفقهاء والزهاد والمدرسين وطلاب العلم ، و لكل إليه حق تعيينهم وفصلهم .

وأعطى سهم الدولة الأمير هندربك Amir Hindu Beg ، وعهد إليه بتنظيم شؤون أهل الدولة ، وكان من واجبه تحديد المرتبات ورتب الأجناد وموظفي الدولة .

وأعطى سهم المراد إلى أمير ديساي Amir Desai ، وكانت كل واجباته تنحصر في الإشراف على شؤون أهل المراد ، وتوفير الحاجات الضرورية التي تضي على البلاط المغولي مظاهر العظمة والفخامة .

تخمير مراءير الأئريقات

وقد قسمت هذه الطبقات الثلاث الكبرى إلى اثنتي عشرة طبقة صغرى ، وكانت تفرق عليهم سهام أخرى من ذهب مخلوط بنسب مختلفة من المعادن الأخرى وذلك تبعاً لأهميتهم .

فالنسب الأول ، وذهب أكثر نقاء من غيره من السهام ، وكان يعطى إلى السلطان ، للدلالة على سمر مكانته .

والسهم الثاني كان يعطى للأسرة الملكية وحكام الأقاليم وكبار الموظفين .

والسهم الثالث كان يعطى لرجال القلم ورجال الدين .

والسهم الرابع كان يعطى للملوك والأمراء والنبلاء .

والسهم الخامس كان يعطى لرجال البلاط وموظفي السلطان الخصوصيين .

والسهم السادس كان يعطى للموظفين العموميين .

والسهم السابع كان يعطى لحريم السلطان وجواري القصر ممن حسن سلوكهن .

والسهم الثامن كان يعطى للجواري اللاتي يخدمن الحريم السلطاني .

والسهم التاسع كان يعطى لموظفي الخزانة والمكوس والخراج .

والسهم العاشر كان يعطى للطبقة المحاربة من ضباط وصف ضباط الجيش

السلطاني .

والسهم الحادى عشر كان يعطى لصغار الخدم .
والسهم الثانى عشر كان يعطى لحراس القصر وحداء الإبل ومن يشبههم .

فقراء البرط :

هذا التنظيم يعطى فكرة واضحة عن همايون كأمير عظيم يعنى برعاية رعاياه ، كما أنه يبين المسكنة الرفيعة التى رفع إليها همايون العلماء والزهاد والموسيقين والشعراء .

وقد كان خدامير مؤلف ، حبيب الير ، واحدا من الأدباء المقربين لهمايون ، وكذلك كان جوهر - مؤلف ، تذكرة الواقعاق همايون «Tazkirat ul-Waqyat» Humayon - ، أو ، مذكرات همايون الخاصة ، - جايسه الخاص ، وبذلك كانت لديه الفرص الكافية لملاحظة كل ما أثبتته فى كتابه هذا .

والعلامة عبد اللطيف مؤلف ، لب التواريخ ، كان قد أرسل همايون يدعوه لينضم إلى بلاطه ، ولكنهم لم يدرك السلطان فى حياته بل وصل بعد وفاته .

ومن حظى بعطف همايون ورعايته الشاعر شهاب الدين خافى - صاحب الأشعار التى لا تباوى فى الألغاز والتأريخ - ، والشيخ حسين المدرس بإحدى مدارس دلهى الكبرى .

حب همايون للمكتبات

وكان همايون محبا للكتب والمكتبات ، فقد جمع فى مكتبته الملكية عددا ضخما من الكتب ، وفى حكمه الثانى أصدر فرمانا بتحويل دشير مندل Sher Mandal - وهى الدار التى كان يقضى فيها شيرشاه سورى Sher Shah Suri أوقات سمره وسروره - إلى مكتبة ، وكان همايون شغفا الشغف كله بالاطلاع على أحسن المؤلفات فى عصره ، حتى إنه كان يصحب معه أثناء

خروجه للقتال نخبه مختارة من الكتب لاستعماله الخاص ، ورغم انشغاله الدائم بقتال أعدائه فقد كان يخصص جزءا من وقته للقراءة والدراسة .

ويخبرنا الكونت نوير Count Noer أن همايون - حتى في وقت فراره من الهند - قد صاحب معه الكثير من كتبه المختارة وأمين مكتبته لالابك Lala Beg وكان لقبه الرسمي باذبهادر Eaz Bahadur .

تفرغ التعليم

وكان من البديهي أن يعنى ملك مثقف كهمايون بنشر التعليم بين رعاياه ، ومن المعروف أنه أنشأ في دلهى مدرسة كبيرة ، وكان مدرس هذه المدرسة الشيخ حسين من أكبر علماء عصره .

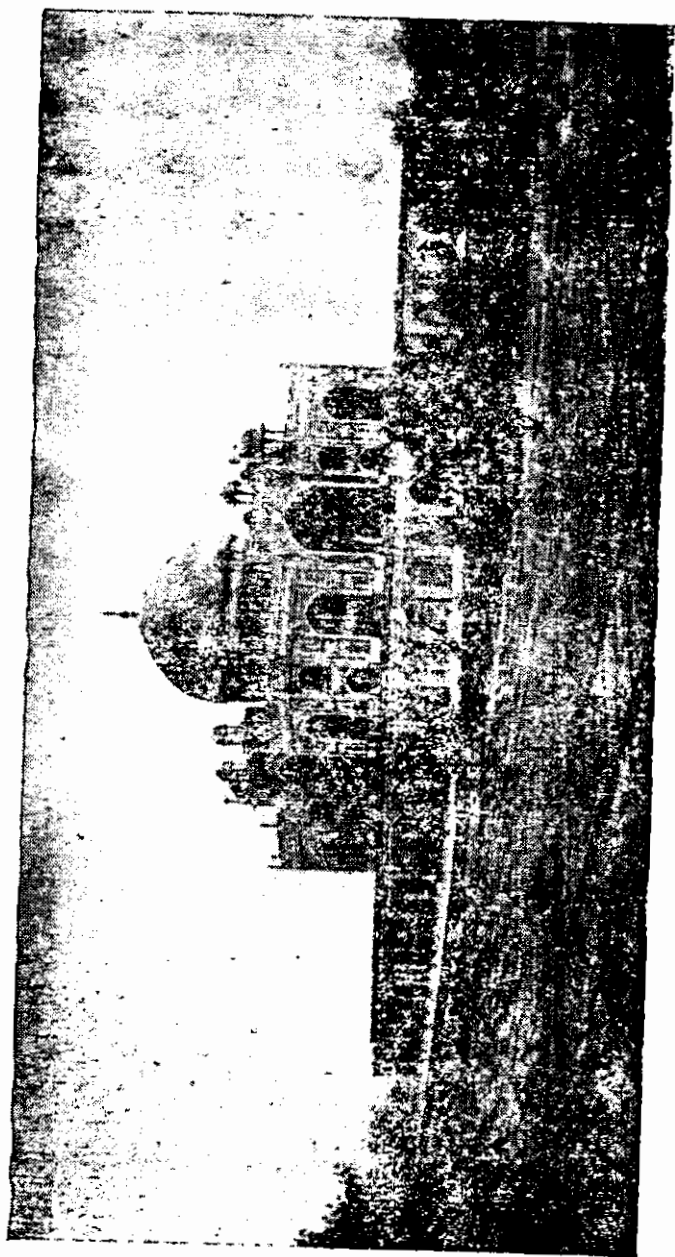
ويبدو أيضا أن ضريح همايون الفخم - وهو أحد الآثار المغولية الجميلة القائم بالقرب من دلهى - كان يستخدم كمسكن للتعليم ، وكان يعين الفقهاء الممتازون وكبار الرجال للإشراف عليه .

الحرائق :

كان همايون يشبه أباه في حبه للحدايق ، ومع أن زعماله الطويل مع شيرشاه سورى لم يتح له الفرصة لإشباع هوايته الفنية هذه ، فقد امتاز عهده بإنشاء حديقة جميلة رائعة ، هى تلك الحديقة المتصلة بضريحه ، والى لا تزال حتى اليوم آية من آيات الجمال والروعة .

عقيدة همايون الدينية

كان همايون رجلا متدينا حريصا على "قيام بشعائر دينه كسلم صادق الإسلام ، ويشير مؤرخوه إلى أنه كان سنيا مخلصا في منيته ، ولكن حبه العميق واحترامه الشديد لأهل البيت يدل على أنه كان ذا ميول شيعية ، ويؤيد هذا أن الأداة الحكومية في عصره كانت فى معظمها فى أيدي رجال شيعي المذهب .



ضریح هما یون فی دہلی

همايون فى الميزان

كان همايون فى حياته الخاصة صديقاً مرححاً مبهجاً . وفى معسكره كان رفيقاً طيباً لجنده وموظفى دولته ، وفى إيجاز نستطيع أن نقول إنه كان صديقاً مخلصاً . وإبناً مطيعاً ، وأخاً محباً .

ويقول لين بول إن همايون : « كانت أخلاقه أخلاقاً مسيحية كما كانت حياته كلها حياة رجل نبيل a gentleman » .

وفى بعض الاوقات كان همايون ذا قدرة كبيرة على العمل والنشاط . وغالباً ما كان يرتفع إلى مستوى الاوقات العصية ويتمكن من تدبير المواقف الجدية بعزمته الماضية .

غير أن الكثير من صفاته الطيبة قد أفسدها إدمانه على تعاطى الأفيون ، ومع هذا فإن الشجاعة التى تحمل بها المصائب التى حمت به فى منفاه ، وطبيعته المرحية ، تدعو إلى العطف عليه والإعجاب به .

وقد أفسد عليه حياته تراخيه وتهاونه وكرمه ، وكثيراً ما كانت هذه الحلال تحرمه ثمار انتصاراته .

ولكن من الحق أن نقول إن شير شاه قد حجب به بما كان يتمتع به من عبقرية ممتازة ، فقد كان دون شك يفوق همايون كثيراً فى مهارته الحربية وبراعته الإدارية .

ولتقدير همايون تقديراً عادلاً يجب أن ندخل فى اعتبارنا الصعاب التى قابلها عند توليه العرش ، وأهمها خيانة إخوته ، ومعارضة الأفغان الذين كانوا لا يزالون يعتبرون المغول دخلاء ، وأحوال الإمبراطورية المغولية المزعزعة ، فقد نجح أبوه حقيقة فى إنشائها ، ولكنه لم يكن قد قوى أسسها .

فإذا كان همايون لم ينجح فى المحافظة على هذا الملك الذى ورثه عن أبيه فإنما هذا يرجع إلى الأحوال السياسية المضطربة التى وجدها أكثر مما يرجع إلى أخطائه الشخصية وفشله .

الفصل الثالث

عودة الأفغان إلى الحكم

شيرشاه وخلفاؤه

(١٥٤٠ - ١٥٥٦)

خمسة عشر عاما مضت كفترة انتقال بين عزل همايون عن عرش الإمبراطورية المغولية في الهند وعودته إليه ، تولى الحكم خلال هذه المدة أسرة سور Sur التي أسسها شيرشاه سوري Sher Shah Suri .

حياة شيرشاه :

اسمه الأصلي د فريد ، ولد في سنة ١٤٨٦ في مدينة حصار فيروزة Hissar Firoza ، حيث كان جده يشرف على أحد الإقطاعات ، أما والده فكان جاجيردارا (صاحب إقطاع) سرام Sasram ، وخواسبور Khwaspur في إقليم بهار .

لم تكن طفولة فريد طفولة سعيدة ، فقد أهمله أبوه وأساء معاملته بتأثير زوجة أبيه ، فقد كان أبوه متزوجا من أربع زوجات وكان يخص صغرى الزوجات بعطفه وحبه ، وكانت هذه الزوجة بدرها تخص أولادها بعنايتها وتهمل من عداها ، مما دفع فريد إلى ترك منزل أبيه والالتجاء إلى مقطع والده جمال خان Jamal Khan في مدينة جاونبور Jaunpur ، حيث انكب على دراسة اللغتين العربية والفارسية ، وقد أعجب جمال خان بنشاطه وتفانيه في العمل والدراسة فأرسل إلى والده حسن يوصيه به خيرا .

وعاد فريد إلى بلده ، فعهد إليه أبوه بإدارة إقطاعاته في سرام وخواسبور فأدارها أحسن إدارة ، وأدخل نظام المعاملة المباشرة مع الزراع (الفلاحين) ،

فبعد أن عمل على حماية الفلاحين مما كان ينزل بهم من عسف واضطهاد وبعد أن وضع إدارة خراج الإقطاع على أسس سليمة ، بذل جهده لإخضاع الزمينادارية Zamindars المشاكسين وإجبارهم على الطاعة .

ولقد اكتسب فريد خبرة كبيرة أثناء إشرافه على إقطاع أبيه في المدة بين ١٥١١ و ١٥١٨ ، فلقد مر أثناء هذه الفترة - كما يقول مؤرخ حياته - بتجربة علمته فيما بعد كيف يسوس إمبراطورية هندستان .

وفي سنة ١٥١٩ اضطر تحت تأثير العداوة التي تضمهرها له زوج أبيه إلى مغادرة وطنه ، فلبأ إلى بهار ودخل في خدمة حاكمها بهار خان Bahar Khan ابن داريا خان لوهاني Darya Khan Lohani .
وفي عهد هذا الحاكم بدأت تظهر شخصيته ويزداد نفوذه .

مهموده الأولى :

قضى فريد نحو أربع سنوات (١٥٢٢ - ١٥٢٦) ، في خدمة بهارخان ، فقدر له جهوده التي بذلها في إدارة الشؤون المدنية والمالية ، وفي إحدى رحلات سيده للصيد تمكن فريد من قتل أحد النمر ، فأعجب بهارخان بشجاعته ، ومنحه منذ ذلك الحين لقب شيرخان Sher Khan تقديرأ لبطولته .

ولكن أسباب الخلاف لم تلبث أن قامت بينه وبين بهارخان فاعتزل خدمته ، ودخل في خدمة بابر الذي عينه - اعترافاً بمواهبه الفذة - حاكماً على جملة إقطاعات بما فيها إقطاع أبيه . وبعد موت بهارخان خلفه في الملك ابنه جلال خان Jalal Khan ، وتولى كفالته شيرخان الذي انتهز الفرصة فاستحوذ على القوة والسلطان ، ولكن جلال خان عندما بلغ أشده رفض أن يكون ألعوبة في أيدي شيرخان ، فأرسل يستعين بحاكم البنغال ، غير أن الحليفين هزما في سوراججره Surajgarh وأصبح شيرخان حاكماً على بهار .

الاستيلاء على البنغال :

واتجه شيرخان بناظره بعد ذلك إلى بنغال ، فغادر بهار في أوائل سنة ١٥٣٦ إلى أن وصل إلى أسوار مدينة جور Gaur . ولم يقاوم محمود خان حاكم بنغال وإنما اشترى رضاء شيرخان بمبلغ كبير من المال .

وفي السنة التالية قصد البنغال للمرة الثانية واستولى على مدينة جور ، ثم هاجم قلعة روhtas إلى أن أخضعها . وبذلك قضى نهائيا على استقلال البنغال .

هملابور يستعير البنغال :

وعندما سمع همليون بنجاح شيرخان أسرع بجيش مغولي كبير نحو البنغال ، فلما قرب منها تحاشى الأفغانى المراءغ ملاقاته وتراجع إلى بهار ، ودخل المغول مدينة جور وأسموها جنة آباد . أما الأفغان فقد حاولوا أن يعرضوا ما فقدوه بالاستيلاء على بعض أجزاء الإمبراطورية في أقاليم بهار وجونبور .

موقعة تشوسا Chausa :

فقد همليون جيشه وعبر نهر الجانج عند مدينة مونجهير Munghir ، ولكنه وجد نفسه هناك في مركز دقيق ، فحاول أن يعقد الصلح مع القائد الأفغانى ، ولكنه لم يفلح . ودارت معركة بين الفريقين عند تشوسا Chausa ، حيث هزم المغول ، وألقى همليون إلى النهر بنفسه ، وكاد يغرق في مياهه ، لولا أن أسرع أحد السابقين - واسمه نظام - بإنقاذه ، وكوفئ نظام بأن توج ملكا لمدة يومين ، وأمر كل القواد بتحقيق رغباته خلال هذين اليومين .

هزيمة همايون وفراره :

وبعد أن انتصر شيرخان في تشوسا ، اتخذ أقمب شيرشاه ، وخطب باسمه على المنابر ، ولم تعد تربطه أى رابطة بالإمبراطورية المغوية . وعند ذلك حاول همايون أن يستعين بإخوته ولكن دون جدوى . وعبر شيرشاه نهر الجانج على رأس جيش كبير وعسكر بالقرب من كانوج ، وغادر همايون عاصمته وعسكر في مقابلة شيرشاه ، ثم قامت معركة بين الفريقين ثانية هزم فيها همايون واضطر إلى الفرار .

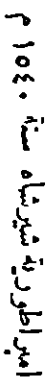
ضم البنجاب وأراضى الجفجار :

وبذلك أصبح شيرشاه حاكم بنغال وبهار وجونبور ودلهى وأجرا دون منازع ، وبدأ يركز جهوده للقضاء على حكم المغول في الهند ، ولتحقيق هذا الهدف بدأ سلسلة من الغزوات ، وكانت البنجاب أول إقليم سقط في يده ، انتزعه من كران ، ثم استولى شيرشاه بعد ذلك على أراضى الجفجار الواقعة بين نهري السند وجيلوم ، ليتمكن من حماية مملكته ضد أى هجوم قد يأتى من الحدود الشمالية الغربية ، فقد كان من المحتمل أن يتحالف كران حاكم كابل وميرزا حاكم كشمير ، ويعملان معا على مهاجمته ، ولهذا أنشأ قلعة حصينة في روهتاس على نهر جيلوم Jhelum وترك بها حامية من ٥٠٠٠٠ جندي تحت قيادة عدد من القواد الذين يثق في إخلاصهم ، ثم عاد ثانية إلى البنغال ليعيد تنظيم شؤونها الادارية .

فتح مالوا Malwa :

وبعد أن أخذ شيرشاه الثوار والفتن في البنغال ، وبعد أن أعاد الأمن إلى ربوعها ، وجه عنايته إلى مالوا ، فقد كان يخشى أن يأتيه الخطر من هذه الناحية ويطمع أحد من الأمراء في مهاجمته في ملكه من الشرق ، فأسرع بالاستيلاء على جوالبور ، وأوجين ، وأنتم فتح مالوا في نهاية سنة ١٥٤٢ .

١٣٥٦ هـ



فنومه في راجبوتانا : Rajputana :

وتبع فتح مالوا سلسلة الفتوح في راجبوتانا ، وقد قاوم الراجبوت في هذا الإقليم مقاومة عنيفة ، غير أن النصر عقد دائماً لشيرشاه . وبعد أن دام القتال نحو سنتين أصيب شيرشاه أثناء حصاره لإحدى القلاع بقبيلة قنضت على حياته ، وكانت وفاته في ٢٢ مايو سنة ١٥٤٥ ، وهكذا انتهت حياة شيرشاه مؤسس الاسرة السورية ومعيد الملك الأفغانى .

سياسة شيرشاه الإصلاحية :

كان شيرشاه ، بحكم مولده في الهند على معرفة وثيقة بالحياة الهندية وعادات الهنود ، وتقائدهم ، كما أنه اكتسب خبرة واسعة في أعمال الإدارة عندما كان يشرف على أملاك أبيه ، ولهذا فقد أثبت عند توليه الملك أنه رجل إدارة وسياسة من الطراز الأول . والحقيقة أن أعماله وجهوده الإصلاحية كانت ممهدة إلى حد كبير لظهور السلطان العظيم أكبر .

وإن الأساليب التي اتبعتها لحكم الشعب الهندى الذى تسوده الفروق في التقاليد والعادات والثقافة والدين واللغة لدليل قوى على أنه كان حاكماً ذكياً وقديراً ، لهذا أعقب حكمه ذكراً طيباً رغم قصر مدته ، وذلك نتيجة لإصلاحاته الإدارية ولأعماله الخيرية ، فلقد كان شيرشاه يعمل طيلة مدة حكمه ليلاً ونهاراً لإصلاح الأحوال الاجتماعية والثقافية لرعاياه ، ورفع مستواهم المادى .

التقسيمات الإدارية للإمبراطورية :

وكانت أهم إصلاحاته الإدارية تتلخص فيما يلى :

قسم الإمبراطورية إلى ٧ قسماً أو مديرية وجعل الحكم فيها لرؤساء القبائل المتعادية من كان العداء المستحكم والمنافسات المتبادلة بينهم خير ضمان للحد من أطماعهم .

وقسم كل قسم أو كل مديرية إلى جملة مدن يحكم كل مدينة شكدار أول ومنصف أول ، وقسم كل مدينة (أوساركار) إلى عدة من المراكز ، كل مركز يحكمه شكدار وأمين وخزنجي ومنصف وكاتب هندي ، وكاتب حسابات فارسي .

وكان كل مركز يضم عدداً من القرى ، كل قرية يحكمها مقدم وشدرى Chaudhri وبيواري ، وهؤلاء كانوا وسطاء في الحكم بين الحكومة المركزية وبين الشعب . وكان الشكدار يختار من بين رجال الجيش ، ومهمته الأساسية تنفيذ الأوامر السلطانية ، وتقديم المعونة العسكرية للأمين كلما كان في حاجة إليها . أما الأمين فكان موظفاً مدنياً ، وكان مشغولاً عن عمله أمام الحكومة المركزية .

وأما الشكدار الأول والمنصف الأول فقد كانا الموظفين المدنيين الكبيرين اللذين يشرفان على أعمال موظفي المراكز ، وكانت مهمتها الأولى تتلخص في ملاحظة سلوك الشعب وإقامة العدل بين الناس .

أما حاكم الإقليم واسمه سوباهدار Subahdar فقد كان يحكم المديرية ، وكان مسؤولاً أمام السلطان نفسه عن أعماله المدنية والحربية جميعاً .

أما السلطان نفسه - شيرشاه - فكان رأس هذا النظام كله ، وكان - بمقتضى هذا النظام - يعتبر ظل الله في أرضه ، ولهذا لم يكن مسؤولاً أمام أحد من البشر .

نظام الخراج :

آمن شيرشاه منذ كان يدير أراضيه والده أن استقرار الأمور في الدولة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا توافرت الرفاهية للفلاحين . وأيقن كذلك أن الطريقة التي كانت متبعة لتوريث وظائف الخراج كانت تضيق على الدولة جزءاً كبيراً من الضرائب المستحقة . ولهذا أمر بمسح جميع الأراضى الزراعية ثم تقسيمها

إلى قطع ، وكان نصيب كل مستأجر يقوم في موسم الحصاد ويخصص ربع الإنتاج كنصيب للدولة . وتركت الحرية للفلاحين ليدفعوا هذا النصيب نقدا أو عينا تبعا لظروفهم وأعفى صغار الفلاحين من المكوس الباهظة ، وكانت مصالحهم موضع رعاية شديدة ، كما كانت زراعتهم في أمان من أن يصيبها أذى ، فقد وضع الحراس في مختلف المناطق لمنع أى اعتداء على المحاصيل .

وعمل شيرشاه على تشجيع الزراعة ، وأمر بأن تقطع الغابات لتستغل أراضيها في الزراعة ، وأنشأ الأهرام لحزن الغلال لوقت الحاجة .

وصيغت الأوامر الصادرة لمحصلى الخراج في أسلوب إنسانى خيرى ، كما كانت تنفذ في رقة وابن ، وكانت القروض تقدم للفلاحين للتفريغ عن كرتهم في أوقات الشدة .

إدارة العمل :

وفي عهد شيرشاه انتشرت العدالة في طول البلاد وعرضها ، وكان القضاة وأمرأا العدل ينظرون في شكاوى الناس وقضاياهم في دار العدالة . ولم يكونوا يخشون في الحق لومة لائم ، ولهذا لم يكن أحد يستطيع أن يخالف القانون أو يفر من العقوبة اعتمادا على نسبه أو مركزه في المجتمع ، وكانت الأحكام الصادرة عنهم قاسية رادعة .

تنظيم قوى الأمن والبوليس :

وأعد شيرشاه نظاما جديداً لقوى البوليس ، ولم يجعله بوليساً تأديبياً يضم رجالا شرفاء مهذبين ، وإنما كونه من اللصوص والثائرين والساخطين والأشرار وأقامهم جميعا حراسا على الأمن . فقد قمع الجرائم ومنعها في مملكته باتباع مبدأ المسؤولية المحلية وفرضه على الأقسام الإدارية المختلفة ، فكان المقدمون

مسؤولين عن الكشف عن حالات السرقة وقطع الطريق ، فإذا عجزوا عن القبض على اللصوص وقطاع الطريق ألزموا بدفع تعويض عن الأشياء المفقودة ، وكذلك إذا حدثت حادثة قتل في دائرة اختصاصهم ولم يتمكنوا من تقديم القاتل قبض عليهم وأعدموا .

وقد نجح هذا النظام نجاحا باهرا ، وبذلك انتشر الأمن في ربوع المملكة ، وكان السياح وأبناء السبيل ينامون قريري العين حتى في الصحراء ، بل لقد كان الزميندارية يقومون على حراستهم بأنفسهم خوفا من بطش الملك .

وكان يساعد إدارة الشرطة المحتسبون ، وكان مهمتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويعملون بوجه خاص على منع الزنا وشرب الخمر .

إدارة المخابرات :

وأوجد شيرشاه إدارة منظمة المخابرات ، لأن الجاسوسية كانت من مستلزمات تلك العصور الاستبدادية ، وكانت هذه الإدارة تضم مجموعة كبيرة من الجواسيس المهرة ليطلعوا الإمبراطور على كل ما يحدث في الإمبراطورية .

نظام الضرائب :

ألغى شيرشاه كثيرا من المكوس الجائرة واكتفى بجمع الضرائب الشرعية غير الباهظة . ولهذا فقد ألغى المكوس الداخلية ، وأمر بجمع ضرائب الإنتاج عند الحدود وفي محل البيع داخل الإمبراطورية . وكان من نتيجة هذا التنظيم الجديد للضرائب أن انتعشت التجارة ، وأن خفت الأعباء المالية على الشعب ، فأحسوا بشيء كبير من الرضى والطمأنينة ؛ وكانت ضريبة الجزية كذلك من الضرائب التي أمر شيرشاه بإلغائها .

وسائل المواصلات :

وعنى شيرشاه عناية كبيرة بوسائل النقل والمواصلات ، فأنشأ كثيراً من الطرق العامة التي تربط أجزاء الدولة بعضها ببعض الآخر ، وكان أطول هذه الطرق الطريق الممتد من سونارجاون Sunargaon إلى السند ، كما أنشأ طرقاً كثيرة أخرى كانت في جملتها تربط المدن الهامة ذات المواقع الاستراتيجية بعاصمة الإمبراطور ، وكان أهم هذه الطرق :

- ١ - الطريق من أجرا إلى برهانپور .
- ٢ - الطريق من أجرا إلى حدود ماروار ، مارا بمدينة بيبانا .
- ٣ - الطريق من لاهور إلى ملتان .

وعلى جانبي هذه الطرق زرعت الأشجار ذات الثمار والظلال الوارفة ، وفي كل مرحلة بنيت السرايات لتوفير الراحة للسافرين ، وألحق بكل سراى بشر للماء ومسجد وحديقة ، ويشرف عليها مجموعة من الموظفين المعيّنين من قبل الدولة ، وأهمهم الإمام والمؤذن والسقاة . وفي داخل السراى أعدت وسائل مختلفة لتوفير الراحة لطوائف الشعب من الهندوك والمسلمين على السواء ، فعين عدداً من البراهمة لخدمة الهندوك ، وعدداً من المسلمين لخدمة المسلمين .

وكانت هذه السرايات عاملاً من عوامل انتشار الرخاء . فقد قامت في الغالب حول كل سراى مدينة ذات أسواق تجارية .

نظام البريد :

وعنى شيرشاه عناية خاصة بالبريد ، ولعبت هذه السرايات دوراً كبيراً في هذا النظام ، فمن طريقها كانت تصل إلى الإمبراطورية أنباء أقصى أطراف الدولة . ولهذا كان يربط في كل سراى حصانان من خيل البريد ، وعلى طول

الطريق العامة كان يقيم العداؤون والفرسان ومهمتهم حمل الأوامر والرسائل السلطانية من مكان إلى مكان .

وإذا كان نظام البريد قد تقدم في عهد شيرشاه هذا التقدم الرائع فإن الفضل كل الفضل يرجع إلى تقدم وسائل المواصلات .

الإصلاحات الحربية :

وفي عهد شيرشاه تمت إصلاحات حربية كبيرة ، فقد بدأ بإلغاء النظام الإقطاعي لجعل الصلة مباشرة بينه وبين أجناده ، فكان هو القائد الأعلى للجيش وكان هو الذى يدفع للجند وللضباط مرتباتهم ، وأمر الجند بطاعة الضباط لا لأنهم قوادهم ، بل لأنهم أتباع السلطان .

وكانت العادة المتبعة قبل ذلك إذا ثار أى حاكم إقليمي وخرج عن طاعة السلطان فإن جنوده يؤيدونه في ثورته على السلطان ، ولكن شيرشاه وضع حدا لهذا التقليد الفاسد ، وأمر الجند بأن يطيعوا أوامر السلطان أولا ثم أوامر رؤسائهم المباشرين ثانيا ، وبهذا الإجراء الحكيم وضع حدا لكثير من أسباب الثورة والشغب .

أما الإصلاح الحربى الثانى ، فيتلخص فى أن شيرشاه أمر بمنع طرق التدليس المتبعة فى صفوف الجيش ، وذلك بإحياء النظام الذى كان وضعه علاء الدين خلجى وكان يقضى بوسم الخيول التى فى خدمة الدولة بميمم خاص ، وإنشاء قوائم تتضمن أرسافا كاملة للجند ، وكانت العلامات الجسمية التى تميز الجنود وخيولهم تثبت فى هذه القوائم ليتمكن مراجعتها فى أوقات التفتيش .

وكان السلطان وحده هو الذى يقوم بتجنيد الجنود ، وتحديد مرتباتهم بعد استعراضهم استعراضا شخيصيا . وبهذا ألغى النظام القديم الذى كان يمنح الجندى إقطاعا مقابل خدمته ، وحل محله نظام جديد يقضى بدفع مرتبات من خزانة الدولة.

ولم يعد يسمح للضباط الحريين أن يمشوا في مكان واحد أكثر من سنة واحدة ، وصدرت لإيهم الأوامر أن يسلكوا أثناء تحركاتهم سلوكاً مرضياً ، وحذروا تحذيراً شديداً أن لا يعرضوا المحصولات الزراعية للتلف .

وأنشأ شيرشاه أخيراً قلاعاً حصينة في مختلف أجزاء مملكته لمنع أى إغارة محتملة من الخارج ، وبهذا تمتعت الهند في عهده بمناعة تامة ضد الغزو الأجنبي وضد محاولات الشغب الداخلية .

اصلاح النقد :

وجد شيرشاه عند توليته العرش أن نظام النقد مضطرب غاية الاضطراب ، وأدرك منذ اللحظة الأولى أن الإستقرار المالى للحكومة يعتمد اعتماداً كبيراً على سلامة النقد ومكانته ، لهذا عمل على إصلاح النقد فأصدر نقوداً ذهبية وبرونزية جديدة ، وجعل لكل منها مقياساً رسمياً ، لمعيارها ودرجة نقاوتها ، وكان من أهم نتائج هذا الإصلاح أن انخفضت الأسعار ونشطت التجارة .

المقاصد العامة :

عنى شيرشاه عناية كبيرة بالأعمال الإصلاحية العامة التى توفر الرفاهية للشعب ، فشجع الزراعة ، وأنشأ الطرق والجسور ، وأقام الحدائق الجميلة ، وبيوت الزكاة ، وبنى المستشفيات ، وسرايات (رباع أو خانات) القوافل . ورعى الآداب والفنون ، وأسس الكتاتيب والمدارس ، وشيد المساجد والحنقاقات ، وخصص المنح والرواتب للدرسين والطلاب ، وبنى عدداً كبيراً من مطاعم الفقراء ، وباختصار اقد بذل كل ما يستطيع لتحسين أحوال رعيته . وكان بدوّه الإصلاحى الذى يعمل على تحقيقه أنه يجب ألا يحرم أحد من نصيبه الذى يستحقه من رعاية الدولة ، ويجب ألا يأخذ أحد من هذه الرعاية أكثر من نصيبه .

العمارة :

كان شيرشاه بناءً كبيراً . فقد جعل دلهي مدينة فخمة رائعة . وأنشأ قلعة روهتاس الشهيرة بالبنجاب . ويعتبر ضريحه الذي بناه أثناء حياته ، والذي دُفن فيه بعد مماته من أجمل الآثار الباقية في الهند حتى اليوم . أما القصر الذي أنشأه في قلعة أجرا فقد كان يثير أعجاب كل من يراه .

المثل التي طام به - تترد فرها سبر شاه في حكمه :

كان شيرشاه يستهدف المثل العليا في حكمه ، ومن الحق أن نقول إنه نجح إلى حد كبير في تحقيق هذه المثل . فقد كان من أقواله التي يرددتها : « يجب على الملك العظيم أن يكون نشيطاً ، وكان ينظر بنفسه في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحكم ، وكان يراقب موظفيه الإداريين وقواده الحربيين بعين يقظة ، ولم يكن يأل جهداً في توفير الرفاهية لشعبه ورفع مستوى معيشته ، ويشمل هذا واضحاً في قوله : « إن روح الرعاية الملكية تتمثل في حماية أرواح الرعايا وممتلكاتهم ، وعلى الملوك أن يراعوا مبادئ العدالة والمساواة في معاملاتهم لكل طبقات الشعب ، ولزام عليهم أيضاً أن يصدرُوا تعليماتهم إلى أصحاب السلطان في حكومتهم أن يحاولوا ما استطاعوا تجنب القسوة والاضطهاد في أحكامهم » .

ومن الإنصاف أن نقول إن شيرشاه التزم تنفيذ هذه المثل أثناء حياته فاكسب بذلك حب رعيته وإخلاص شعبه بمختلف طبقاته من الهندوك والمسلمين على السواء .

الرأى فى شيرشاه

شخصية شيرشاه من الشخصيات الطريفة فى تاريخ الهند الإسلامية ، فقد بدأ حياته جنديا صغيرا ، ثم ارتفع بنفسه شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى عرش الهند ، ثم حكمها حوالى خمس سنوات ، فهو بذلك رجل عصامى ، ولم يكن يتردد لحظة فى أن يشارك بنفسه أو يديه فى أى عمل إنشائى ، ولم يكن يقحم نفسه فى خصومات أو معارك غير ضرورية ، بل كان يكره القسوة كرها شديدا .

وكان شيرشاه سنيا مغاليا فى سنيته ، ولكنه مع هذا لم يكن متعصبا ضد العقائد الأخرى ، فقد كان عطوفا على رعاياه من الهندوك ، وغير شاهد على هذا أنه أعفاهم من الجزية ومن الضرائب الأخرى المفروضة على أهل الذمة ، كما عمل على نشر التعليم بينهم واستخدمهم فى إدارة حكومته دون تفرقة بينهم وبين غيرهم .

وكان شيرشاه إلى هذا قائدا حرييا ممتازا ، فقد أدار معاركه الحربية ضد همايون إدارة فنية ماهرة ، وفى خلال عشر سنوات استطاع أن يطوح بالإمبراطورية المغولية ، وأن يعيد الحكم للأفغان ، وأن يؤسس الأسرة الحاكمة الجديدة ، أسرة سور Sur . وإن معاركه الحربية فى مالوا Malwa وراجپوتانا Rajputana خير دليل على نبوغه الحربى ، وغير شاهد على أنه كان قائدا حرييا ممتازا .

ولكن نبوغه الحربى لم يرفع قدره فى التاريخ قدر ما رفعه إدارته العادلة والحكيمة ، فهو إذا كان قد عرف كيف ينتصر ، فقد عرف أيضا كيف يدهم هذه الانتصارات بجهوده التى لا تكل وبرقايته التى لا تنفد .

ومن الحق أن نقول إنه بالإصلاحات الإدارية ، وبالنظام المالى الذى رضعه

وبالسياسة الدينية السمحة التي التزمها ، قد مهد الطريق لعظمة السلطان أكبر .
قال أحد مؤرخيه — وكان مصيبا في قوله — : « إنه إذا طال به العمر
لاستطاع أن يثبت قواعد الملك لأسرته ، ولما قدر للإمبراطورية المغولية أن
تظهر ثانية على مسرح التاريخ ، ولكن حكمه كان كحكم صنوه بابر مؤسس
الإمبراطورية المغولية ، حكما قصيرا لم يتجاوز الخمس سنوات ، ورغم هذا فإن
الأعمال العظيمة التي قام بها خلال هذا الحكم القصير تضعه في مصاف حكام
الهند العظام » .

خلفاء شير شاه

سليم شاه (١٥٤٥ — ١٥٥٣) :

خلف شير شاه على العرش ابنه الصغير جلال خان ، وقد توج ملكا لالشيء إلا لأنه وصل إلى معسكر أبيه عند إعلان موته .

وبعد تواليه العرش لقب نفسه بسليم شاه ، ولكنه سرعان ما تحقق من صدق المثل القائل : « إن الرأس التي تحمل التاج لا يمكن أن تحس معنى الراحة » ، فإن الشعب الذي أحدهه الأفغان المشاكسون اضطره إلى استعمال وسائل العنف ، فأصدر كثيراً من اللوائح والقرائن ، وبذل جهوداً كبيرة لتقوية مركزه ، فألقى القبض على المعارضين له وأودعهم السجن توطئة لقتلهم .

ومع أن سليم شاه لا يمكن أن يتطاول إلى منزلة أبيه ، فقد أثبت أنه كان ملكاً قديراً ؛ فعلى الرغم من أن بعض القبائل ثارت في عهده ، فقد تمتع بحكم هادئ آمن لمدة تقرب من الثماني سنوات

انضباع مالوا والبنجاب :

كان أول من أحس بقوته من حكام الأقاليم هو شجاع خان حاكم مالوا فقد كان هذا الحاكم واسع الثراء ، كما استطاع أن يبسط سلطانه على الإقليم الذي يحكمه ، ولكنه لم يكده علم من عيونه (جواسيسه) بنوايا الإمبراطور حتى أسرع بإرسال ممثلين يعلنون ولاءه وخضوعه .

أما عظيم همايون حاكم البنجاب ، فقد كان أقل حزماً وأكثر صلفاً . فعندما أرسل سليم شاه يستدعيه إلى قصره ، لم يلب الدعوة ، وأرسل أحد أتباعه نائباً عنه . فاعتبر السلطان هذا العمل إهانة له وخروجاً عن الطاعة ، وأصدر الأوامر في الحال بإعداد الجيش ، وقاده بنفسه إلى البنجاب ، مما اضطّر عظيمًا إلى إعلان العصيان .

وهزم عظيم في إمبالا ، ولذا بأذيال الفرار . ثم جمع جيشاً من جديد واشتبك مع سليم شاه في موقعة ثانية ، ولكنه هزم ، ولجأ إلى كشمير حيث قتل ، وبذلك تمكن سليم شاه من إخضاع البنجاب لحكمه .

شيخ علای : Shaikh Alai :

وفي عهد سليم شاه قامت حركة أخرى دينية ، فقد استطاع الشيخ علای ببلاغته أن يثير الحماس الديني في نفوس الشعب ، وأن يخلق المتاعب في البنجاب . ولكن عندما اذنت هذه الحركة بالانساع ، وابتدأت تتحدى السلطات الحكومية ، أمر السلطان بالقبض على الشيخ وقتله ، وبموته ماتت الحركة وهي لا تزال بعد في مهدها ، وتوارى أتباعها وتلاشى أمرهم .

مكرونة سليم شاه :

اتبع سليم شاه سياسة العنف أثناء حكمه ليفرض سلطته على مختلف نواحي المملكة . وكانت عدته في هذا جيشاً مستعداً حسن التنظيم والتدريب . وعمل سليم شاه على كبح جماح الأمراء بأن جمع كل ما كان لديهم من أدوات القتال ، كما أخذ منهم الفيلة التي يملكون ، ومنح المنح المالية التي تقدم لهم مقابل إمدادهم الدولة بنسبة معينة من الخيول .

وكان يشرف بنفسه على المنح المالية التي تمنحها الدولة ، وبذلك كان يستطيع التأثير في الأحوال الاقتصادية للأمراء كلما كان ذلك ممكناً .

وأنشأ سليم شاه نظاماً دقيقاً للجاسوسية كان يطلعه على كل صغيرة وكبيرة تحدث في مملكته . وأصدر سليم شاه عدداً من اللوائح والقوانين لتنظيم العدالة ، ولم يسمح للثغاة والمفتيين بتفسير هذه القوانين ، وإنما جعل هذا من اختصاص المنصفين Munsifs وحدهم .

واضمان تنفيذ هذه القوانين ، وزعت فرق الجيش في أنحاء المملكة المختلفة كما كان السلطان يشرف بنفسه على حسن تنفيذها .

محمد هارل شاه ١٥٥٣ - ١٥٥٦ :

توفي سليم شاه في سنة ١٥٥٣ ، وخلفه على العرش ابنه فيروز خان ، ولكنه لم يلبث غير قليل حتى قتله عمه مبارز خان ، واستولى على الملك ولقب نفسه بمحمد عادل شاه . كان هذا الملك مسرفاً داعراً ، فإنه لم يكذب على العرش حتى أخذ يبدد أموال الخزانة في سفه وإسراف شديدين . وشغل عادل شاه بملاميه ومبازله ، وترك إدارة الحكم في يد وزيره "القدير هو Hemu الذي أشرف على تسيير دفة الحكم بحزم وحكمة عظيمين ، ولكنه رغم قدرته لم يستطيع أن يسيطر على العناصر المشاغبة التي بدأت ترفع رأسها عند موت سليم شاه ، فقامت الثورات في كل مكان ، وانهارت الإدارة الحكومية انهياراً تاماً .

وبدأ إبراهيم خان عم الملك ، فاستولى على أجرا ودلهي ، ولكن سرعان ما تغلب عليه أخوه سكندر سور Sikandar Sur الذي استطاع أن يسيطر على كل المنطقة الواقعة بين نهري السند والجانب ؛ وتلك كانت حالة الفوضى الشاملة التي أصابت الهند حينما أرسل الرسل إلى الإمبراطور السابق همايون يستدعونه من منفاه لارتقاء عرش أسلافه مرة ثانية .

وتقدم همايون واستطاع بمساعدة شاه إيران أن يهزم سكندر سور ، وأن يستعيد ملكه المتنازع . وبعد اثني عشر شهراً من حكمه الجديد سقط من سلام مكرته - كما سبق أن أسلفنا - ومات في الرابع والعشرين من يناير سنة ١٥٥٦ .

الفصل الرابع جلال الدين محمد أكبر

(١٥٥٦ - ١٦٠٥)

خلف د أكبر ، أباه همايون على عرش أباطرة المغول في الهند . ويعتبر د أكبر ، أعظم أباطرة الهند ذاتيه ، فقد حكم حوالى خمسين عاما ، أسهم خلالها بجهوده الكبيرة فى سبيل رفاهية الشعب . ولا يستطيع أحد غيره من حكام الهند أن يرقى إلى مكانته كحاكم أريب فطن ، أو كسياسى بارع ، أو كحارب ماهر .

حياته أكبر الاولى :

ولد د أكبر ، فى أماركوت Amarkot فى الثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٥٤٢ ، وكان أبوه همايون فى حملته ضد السند ، وفى صحبته راجا أماركوت حين وصله نبأ مولد د أكبر ، فبعث فى جعاب حاشيته فلم يجد إلا كيسا من المسك ، ففرقه على رفاقه ، ودعا الله أن ينتشر اسم ولده كما تضرع راحمة هذا المسك العبة ، وحضر الطفل الوائد إلى المعسكر تحمله أمه حميده بانوييجوم . وبعد اثنى عشر شهرا من مولده ، تركه والده تحت رحمة عمه كامران فى مدينة قندهار . وفى الخامسة من عمره عرضه عمه بدافع الانتقام لطلقات جيش أبيه المتعاقبة عندما كان أبوه يحاصر قندهار ، ولم ينج الطفل من خطر الموت إلا بأعجوبة .

وفى الثانية عشرة من عمره ، كان قد اكتسب مهارة فائقة فى قيادة الجبال والخيول والنفيلة ، كما كان قد أحرز خبرة كافية باستعمال الأسلحة ، وشاهد الكثير

من المعارك أثناء صجبه لأبيه في منفاه . وفي الثالثة عشرة من عمره استدعى لتولى العرش خلفاً لأبيه بعد موته .

تولى أكبر العرش :

بينما كان أكبر ، في طريق عودته من البنجاب حيث كان ذهب إليها في صجبة صديق والده الحميم بيرم خان لإصلاح ما افسده حاكمها ، تلقى في كلانور Kalanaur نبأ وفاة والده . وبعد أن أقام شعائر الحزن على والده ، احتفل بتتويجه في إحدى الحدائق في ١٤ فبراير سنة ١٥٥٦ . ولصغر سنه ، تولى أتابكيتة بيرم خان ، وبدأ يدير شؤون الحكم بنفسه ، كما عين محمد حكيم الأخ الأصغر ، أكبر ، حاكماً على إمارة كابل .

الحالة السياسية في الهند عند ما تولى أكبر العرش في سنة ١٥٥٦ :

لم يعيش همايون طويلاً بعد أن استعاد الحكم ، ولهذا كانت الفوضى لا تزال تسود المملكة ، كما كانت الجيوش والطوائع تنتشر في أنحاءها ، فقد كانت الأجزاء الشمالية من الهند بما فيها دلهي وأجرا قد أصيبت بالطاعون الذي أودى بحياة الجمل الغفير من أفراد الشعب .

أما الناحية السياسية فإن عرش دلهي كان قد أصبح كالكرة تتدألها أيدي الأفغان والمغول ، ولم تعد المملكة إلا تعبيراً جغرافياً أو بجموعة من الولايات ، كما غدت السيادة على الإقليم الشمالي الغربي من الهند موضع نزاع بين سكندر سور ومحمد عادل شاه ؛ وجمع سكندر سور جيشاً كبيراً في البنجاب ، وبدأ يسعى لنشر سيادته على كل بلاد هندستان ؛ وأما محمد عادل شاه فقد تراجع إلى الأقاليم الشرقية ، وأخذ يعمل على توسيع نفوذه هناك ، وفي نفس الوقت كان هموم قائده الصنديد قد أحرز لنفسه بطولاً فائقة بامتصاره في أكثر من اثنتين وعشرين معركة ، ثم تقدم بعد ذلك متجهاً نحو أجرا على رأس جيش ضخم .

وقبل أن يتقدم بيرم خان للنجدة ، كانت أجرا قد سقطت وكان تردى بك Tardi Beg حاكم دلهى قد هزم ولاذ بأذيال الفرار . وبعد سقوط أجرا ، تقدم هو واستولى على دلهى ، وارتقى عرش المغول ، وضرب العملة باسمه ، ورفع المظلة السلطانية على رأسه . وبدأت تداعبه الآمال بعد هذه الانتصارات أن يستأثر بالعرش المغولى وخاصة أن صاحبه فى ذلك الحين كان طفلا صغيرا فى الثالثة عشرة من عمره .

وكانت إمارة كابل التى تولى حكمها محمد حكيم إمارة مستقلة إلى حد كبير عن دلهى ، وقد بدأ يهددها فى ذلك الحين سليمان حاكم بدخشان . أما البنغال فكان يستقل بحكمها أمراء الالغان ، وكان الراجبوت قد أفاقوا من الصدمة التى أصابتهم أثناء حكم بابر واستعادوا سيطرتهم على قلاعهم وحصونهم . وكانت مالوا وجوجرات قد نقضا الحلف الذى كان بينهما وبين الحكومة المركزية أثناء حكم محمد تغلق Tughluq . وكانت جندوانا Gondwana يحكمها رؤساؤها المحليون . وكانت أوريسا Orissa مستقلة . وكانت كشمير والسند وبالوختان قد تخلصت من كل نفوذ خارجى . وكانت سلطنة الدكن فى أحمد نجار وبيجاپور Bijapur وجولكوندا Golconda وخاندش وبران Khandesh & Berar يتولى الحكم فيها سلاطينها الذين كانوا فى نزاع دائم بعضهم مع البعض الآخر .

وكانت إمبراطورية فيجايا نجار Vijayanagar فى ذلك الوقت فى أوج عظمتها قوة وثراء وحضارة ، وكانت قوى البرتغال تسيطر على مياه البحر العربى والخليج الفارسى ، كما امتد نفوذهم على سواحل الهند الغربية واستولوا على بعض موانئه الهامة ، وبخاصة جوا Goa وديو .

الصراع مع همو ومعركة بانبيات الثانية سنة ١٥٥٦ :

تلك كانت حالة الهند عندما ارتقى دأ كبر ، عرش آبائه من المغول ، وكان من بين الطامع لهذه الأسرة المغولية أن وجد الإمبراطور الصغير في ذلك الوقت إلى جانبه بيرم خان ، ذلك الرجل العظيم والحاكم القدير . فقد بذل كل جهده لمساعدة سيده وتدعيم ملكه إلى أن بلغ رشده ، وتم نضجه واكتملت رجولته .

وجد بيرم خان الخطر الأكبر متمثلاً في همو الذي كان يقود جيشاً ضخماً يهدد به الإمبراطورية المغوية ، وكان معظم قواد الجيش المغولي قد نصحوا الإمبراطور بأن يتراجع إلى كابل ، ولكن بيرم خان قاوم هذه النصيحة الوجلة لأنه اعتقد أن في تنفيذها قضاء على آمال الأسرة المغوية ، وأمر في الحال بالقبض على تادوى بك وقتله لأنه لم يحسن التصرف أثناء مواجهته للعدو ، ثم تقدم بيرم خان بنفسه لمقاومة همو . وحالف الحظ هذا القائد المغولي الصلب في البداية ، فقد استطاعت فرقة من طلائع الجيش أن تعرقل همو بالإستيلاء على مدفيته ، وبدأت معركة في بانبيات بين جيشين يقودهما قائدان يمتازان بالمهارة والنبوغ الحريين .

وهجم همو بفيلاته هجمة عنيفة مزقت الجناح الأيسر للجيش المغولي ، وأصاب الجيش المغولي كله بالذعر . ولكن النصر لم يلبث أن انقلب إلى جانب المغول وخاضة بعد أن أصيب همو بسهم في عينه أفقده وعيمه . وكان سقوط همو من على ظهر فيله هو الذي قرر مصير المعركة .

وقبض على همو بطل الهندوس وأملهم المرجو ، وحمل إلى الإمبراطور . ونصح بيرم خان الإمبراطور الصغير أن يقتل هذا العدو اللدود ، ولكن الملك

الفارس أبى أن يحقق هذه الرغبة وقال له : « إنه ليس من الفروسية فى شيء أن
أقتل عدوا منهزما ، وعند ذلك استل بيرم خان سيفه وتولى هو قتل همو .

نتائج المعركة :

أزال هذا النصر أقوى معارض لاكبر ، فقد هزم همو وقتل ، وشتت شمل
جيشه ، رغم الجيش المنتصر غنائم كثيرة ، تشمل مبالغ طائلة من المال ، و ١٥٠٠
فيل ، وتقدم فاستولى على دلهى وأجرا والمناطق المجاورة ، وضاعت تماما آمال
الهندوس لتكوين ملك خاص بهم فى الهند ، وارتفعت مكانة الجيش المغولى
منذ ذلك الحين ، ورحب بالأكبر كإمبراطور لهندستان ، وانتهى حكم الأفغان فى
الهند ، وبدأ المغول يحكون الهند ثانية ، وتلك كانت أهم نتائج معركة بانيبات
الثانية .

انفضاع المطالبين بالملك من أسرة - هور ، وهزيمة الأسرة :

وبعد شهر من معركة بانيبات ، بدأ بيرم وأكبر يوجهان اهتمامهما لأفراد
البيت السورى الذين يطالبون بالعرش ، وكان بيرم - قبل اصطدامه بهمو -
قد أرسل جيشا لمقاتلة سكندرسور الذى كان قد احتفى بمحسن مانكوت
Mankot . وحوصرت القلعة ، وضيق الحناق على سكندرسور حتى اضطر أن
يطلب الصلح ، وسلمت القلعة ، ومنح سكندر إقطاعا فى الشرق أقام به إلى أن مات
فى سنة ١٥٦٩ . وفى سنة ١٥٥٧ ، لقي محمد عادل شاه حتفه أثناء قتال قام بينه
وبين ملك البنغال ، وهكذا استطاع أكبر خلال مدة وجيزة أن يتخلص من
المنافسين الثلاثة .

وفى السنة التالية (١٥٥٨) ضمت أجمير وجوالبور وجونبور إلى
الإمبراطورية المغولية .

النزاع بين أكبر و بيرم خان :

وبعد هذه الفتوح والانتصارات الحربية بدأ بيرم خان يوجه جهوده للحالة الداخلية ، ولكنه لم يلبث أن اصطدم بأطماعه الشخصية أولا . وبالمملك الذى يتولى الوصاية عليه ثانيا .

وقصة حياة بيرم خان فى الواقع قصة طريفة تستحق الدراسة ، وكان بير خان تركانى المولد ، شيعى المذهب ، وكان من أخلص أتباع همايون ، فقد تحمل معه كل متاعب الحياة فى منفاه ، ووقف إلى جانبه فى أشد الآفات وأحرج الساعات ، وبدون نصائحه ومساعدته لم يكن همايون يستطيع استعادة ملكه فى الهند . ولم يكن بيرم خان أقل إخلاصا لأكبر ، فبفضل مشورته خاض أكبر ، غمار معركة بانيبات الثانية ، وبفضل توجيهه انتصر فى هذه المعركة الحاسمة ، وفى عهد آتا بكبته احتلت دلهى وأجرا والمناطق المحيطة بهما ، كما ضمت أجمير وجوالبور وجونبور ، وكان بيرم خان أخيراً هو الذى استطاع أن يقضى على منافس أكبر ، من أسرة سور . وقد استطاع بفضل قدرته ومنه وتجربته أن يسيطر نفوذه على الإمبراطورية المغولية ، فقد كان فى الحقيقة سياسياً محنكا وإدارياً حازماً ، ولكنه مع هذا كان يفتار من أصدقاء سيده وما كان يسمح لأكبر أن يقدم لأحد منهم شيئاً من رعاية أو فضل إلا بإذنه وبعد استشارته . وإلى هذا فقد اكتسب بيرم خان عداء الكثيرين من رجال البلاط ونسائه لصلفه وكبريائه وتعاليه على الحاشية ، وكان فى مقدمة الناقين عليه الملكة الوالدة البيجوم حميدة بانو ، ومرضة أكبر ، مهام أنقاه ، وأخوه فى الرضاع آدم خان ، وحاكم دلهى شهاب الدين ، وقد كانوا جميعاً يكرهون بيرم خان وإنما لأسباب مختلفة ، ولهذا فقد كانوا يبذلون دائماً

كل جهودهم لتسوية العلاقات بين السلطان وأتابكة ، وإلى أن حدثت حادثة تافهة كانت عود الثقاب الذى أشعل النار ، وكانت السبب فى النزاع الجدى الذى نشب بين الرجلين .

حدث أن كان أكبر يتمتع بمشاهدة صراع بين الفيلة ، وأثناء هذا الصراع اشتدت ثورة الفيلين المتصارعين ، وخرجا عن طورهما ، وتخطيا الأسوار ، وهاجما معسكر بيرم خان - وكان قريبا من المكان - وهددا حياته بالخطر .

ومع أن « أكبر » اعتذر بأن الحادث إنما وقع بطريق المصادفة المحزنة فقد غضب بيرم خان غضبا شديداً ، وأمر فى الحال بقتل وجل برىء من خدم السلطان الخاصين ، عند ذلك ثار أكبر لكرامته .

وحقيقة لقد كانت العلاقات بينه وبين أتابكة قد سادها الفتور وقتئذ ما ، ولكن أكبر كان قد بذل ما يستطيع بذله لإرضاء بيرم خان وتهديته ، فعقد له على سليمة سلطنة بنت أخت همايون ، ومع هذا لم يمض غير قليل حتى أمر بيرم بقتل رجل من رجال الحاشية يدعى بير محمد لجرم قد اقترفه .

هذه التصرفات لم تفسد العلاقات بين السلطان وبيرم خان وحسب ، بل خلقت له أعداء كثيرين فى القصر ، ويضاف إلى هذا أن بيرم خان كان يعمل دائما على تعيين أصدقائه من الشيعة فى المناصب الكبرى مما أثار غضب السنة .

ثم غضب أكبر الغضبة الكبرى عندما علم أن بيرم خان يدبر الأمر لإجلاس أبى القاسم - ابن كمران - على العرش ، وبدأت المؤامرات تنظم لإبعاد بيرم خان ، واشترك فى تنظيمها حميدة بانو ويجوم ومهام أنقاء ، وأدهم خان ، وشهاب الدين . وسافر أكبر فى ذلك الوقت إلى دلهى ليعود أمه ، وأثناء مقامه معها اتخذت مرضعته مهام أنقاء كل مالدتها من حيل لتوغر صدر السلطان على أتابكة ، وكان

أكبر في ذلك الوقت على استعداد تام لقبول كل ما يقال له ، ولهذا لم يكده يعود من دلهى حتى أصدر الأمر العالى :

« شاءت إرادتنا أن نتولى نحن حكم شعبنا بنفسنا ، وقد اقتضى الأمر أن يستقيل رائدنا من الوظائف التى يتولاها ، وأن يرحل إلى مكة ليقضى بقية حياته فى الصلوات والعبادة بعيدا عن متاعب الحياة العامة . »

عند ذلك أدرك بيرم خان ما كان يدبر له من وراء ستار ، وأدرك فى نفس الوقت خطورة الموقف وأنه فى الواقع قد تجاوز حده ، فأسرع بإرسال اثنين من قواده الذين يثق بهم إلى القصر يرفعان ولاءه ويؤكدان خضوعه وإخلاصه للعرش ، وقبض أكبر على الرسولين وسجنهما ، وأرسل رسولا من قبله إلى بيرم خان يؤكد الأمر السابق بضرورة الإسراع بالرحيل إلى مكة .

هذا الإجراء حطم كبرياء بيرم خان ، واشتد به الغضب ، فأعلن ثورته على السلطان ، ولكنه هزم وأسر وحمل إلى السلطان ، ورغم هذا كله فقد رعى السلطان له سابق خدماته فعفا عنه . وعندما وصل بيرم خان إلى لاهور حيث كان يقيم السلطان ، تأثر تأثرا بليغا للطريقة التى استقبل بها ، فالتقى بنفسه عند قدمى السلطان وانفجر فى البكاء ، ورفع أكبر وأجلسه فى مكانه السابق على يمينه وعلى رأس كبار الدولة ، ثم خلع عليه وعرض عليه أن يختار أمرا من ثلاث :

أ - إذا آثر أن يبقى فى القصر فإنه يسمح له بذلك . وسيعامل بكل إكرام وإعزاز باعتباره صاحب فضل على البيت المالك .

ب - وإذا آثر أن يظل فى الخدمة فسيعين واليا على إقليم من الأقاليم السلطانية .

ج - وإذا آثر أن يحيا حياة دينية فستقدم له كل المنح والمساعدات التى تمكنه من الحج إلى مكة .

وأجاب بيرم خان بأنه مادام قد فقد ثقة مولاة مرة فإنه لا يستطيع أن يستمر بعد ذلك في خدمته للدولة ، ثم أضاف قائلاً أنه يكفي أن تدركه رحمة البادشاه ، وختم حديثه بقوله : « دعني إذن أبعد بأفكارى عن هذا العالم إلى عالم آخر أفنل ، لتسلح لى بالرحيل إلى الحرم الشريف . »

ووافق البادشاه على ملتصه ، وأمده بحرس يرافقه ، ووجهه معاشاً كافياً ، ولكنه لم يقدر له أن يتم رحلته إلى الحرم الملكى ، فقد قتله أحد أعدائه الخاصين أثناء الطريق ، وكان ذلك فى يناير سنة ١٥٦١ .

موقف أكبر مع رجال الحاشية والقصر :

مهد زوال بيرم خان الطريق للحاشية ورجال القصر ونسائه . وكان أبرز هؤلاء وأقوام نفوذاً مرضعة السلطان مهام أنقاه ، فقد كانت موضع ثقته ومشورته فى كل شؤون الدولة والحكم ، ويرى بعض المؤرخين أن أكبر كان يحكم خلال هذه السنوات تبعاً لشورته هذه السيدة . ولكن الحقائق التاريخية تدحض هذه الدعوى ، وتثبت أن أكبر كان الحاكم بأمره ، بدليل عفوّه عن بيرم خان وإكرامه له رغم معارضة مهام أنقاه وإصرارها على ضرورة عقابه ، وبدليل ما فعله أكبر بأدهم خان أخيه فى الرضاع وابن مهام أنقاه ، فقد أمر بأن يلقي من برج القلعة إلى الأرض مرتين حتى قتل وتناثر مخه لأنه جرأ فقتل رجلاً من المقربين للسلطان .

وتعتبر سنة ١٥٦٤ بدءاً لعهد جديد فى حكم أكبر . . وفى هذه السنة كان قد أمسك فى يده بمقاييد الحكم كلها ، وكان قد قضى على كل منافيه ، وكان قد تخلص من نفوذ أتاكبه بيرم خان ، ثم اعتزم بعد ذلك أن يكون الحاكم المطلق فى بلاد الهند . ولكنه قبل أن يبدأ سلسلة غزواته كان عليه أن يخضع بعض الثورات .

ثورة فاه زمانه Khan Zaman :

كان أحد قواد أكبر ، من الأزابكة قد رقى إلى مرتبة خان زمان تقديراً لجهوده في معركة بانيبات الثانية (١٥٥٦) ؛ وفي سنة ١٥٦٠ م حاول الأفغان بقيادة شيرشاه الثاني بن محمد عادل شاه الاستيلاء على دلهي ، واستطاع خان زمان أن يهزمهم ، ولكنه بعد انتصاره رفض أن يرد إلى السلطان الفيلة التي غنمها في الحرب ، فخرج السلطان بنفسه لمقاتلته وتقدم نحو جوناپور ، ولكن خان زمان عندما سمع بخروج السلطان أسرع في الحال يقدم له ولاده وخضوعه ، ولم يمتطع به الفيلة وحسب بل أخذ كل ما معه الغنائم التي غنمها ، وبعض الهدايا الأخرى . وقابله السلطان بما عرف عنه من تسامح ، وعنا عنه وتغاضى عن عصيانه ، وعينه واليا على جوناپور .

ثورة أدهم فاهه :

كان أكبر قد أرسل أدهم خان لإخضاع حاكم مالوا ، واستطاع أن يحرز نصراً كبيراً بالقرب من سرانجپور Sarangpur ، ولكنه حذا حذو خان زمان فاستحوذ على غنائم المعركة ، وأعماه النصر فأخذ يوزع هذه الغنائم بسخاء ليس يزيد من الاتباع ومن حبيهم له ، واستبقى لنفسه بعد هذا الرايات السلطانية وشعار الملك والنصيب الأكبر من الأموال التي كان يجب عليه أن يرسلها إلى السلطان . ولهذا خرج أكبر على رأس جيشه واتجه إلى مالوا ، وفاجأ أدهم خان قبل أن يتمكن من العصيان ، واستولى على الغنائم ، وعزله عن حكم مالوا .

وبعد هذا الحادث أمر أدهم خان بملازمة القصر . وهناك ثارت نيران الحقد في صدره على رجل من رجال السلطان اسمه شمس الدين لأنه رقى إلى مرتبة وكيل ، وهي وظيفة تشبه وظيفة رئيس الوزراء ، ثم دفعه الالم الذي كان يحسه لفقدته الحكم في مالوا ، فقتل في إحدى الليالي مع بعض رجاله إلى ديوانى خاص

وانقض على شمس الدين وقتله ، وحدثت ضجة بعد مقتل الوكيل أيقظت السلطان من نومه ، فأمر في الحال بإحضار أدهم خان من مسكنه ، وعندما علم بموت وكيله ، لكم أدهم خان لكمة قوية أوقعته إلى الأرض ، ثم أمر به فألقى من شرفات القصر إلى داخل القلعة فأت ، وكان هذا في سنة ١٥٦٢ .

أكبر والراجبوت

أدرك أكبر منذ اللحظة الأولى أن سياسة أسلافه في الحكم كان يشوبها خطأ ما ، وأدرك أن إمبراطوريته يجب أن ترتكز على أساس قوى من حب رعاياه ورضائهم بصرف النظر عن عقائدهم ومذاهبهم ، ولهذا بدأ يعمل على كسب حب الهندوك بوجه عام والراجبوت بوجه خاص. فقد كان الراجبوت يكونون الطبقة الحربية في المجتمع الهندي ، وكانوا سلالة القواد العسكريين : الهند ولم يكن في استطاعة الأسرة الحاكمة الجديدة أن تستغنى عن تأييدهم ، ولهذا بدأ أكبر يعمل على كسب رضاء الراجبوت وتأييدهم للحكم المغولي ، واتخذ لتحقيق هذا الهدف وسائل كثيرة منها :

١ - أملاك الزواج :

بدأ أكبر يعقد أحلافًا تعتمد على الزواج وصلات النسب ، وكان أول راجا قدم ابنته لتتكون زوجا لأكبر هو راجا أمير واسمه بهار مال كاشهواها Kachhawaha Baharmal . وقد ضمن هذا الزواج تأييد هذه الأسرة الراجبوتية القوية للسلطان ، وكان يمثل فجر عهد جديد في تاريخ السياسة الهندية ، فقد أمد الدولة بسلسلة من الحكام المشهورين وغذى الإمبراطورية المغولية خلال أربعة أجيال متعاقبة بعدد من أعظم القادة والساسة الذين أنجبته الهند في العصور الوسطى .

تم هذا الزواج الاول في سنة ١٥٦٢ ، وفي سنة ١٥٧٠ تزوج السلطان من بعض أميرات الراجبوت في ولايتي جيسالمير Jaisalmir وبكانير Bikaner ، وفي سنة ١٥٨٤ تزوج ولي العهد الأمير (جهانبخير) من ابنة راجا بهجوان داس .
Rajah Bhagwan Des

٢ - اباة المناصب الكبيرة للراجبوت وبقيّة الهنود :

تغاضى أكبر عن الفروق الدينية . وعمل على تشجيع رعاياه من الهنود وتقدير خدماتهم ، وبخاصة الراجبوت ، فعينهم في المناصب الكبرى مدنية كانت أم حربية ، ووضع فيهم ثقته الكاملة وأتاح لهم فرصة الترقى إلى كل مراتب السلطان ، فتولى عدد من الراجات مناصب القيادة في جيشه ، وكان نصف الجيش تقريباً من الهندوك وكذلك كان عدد كبير من قواد الجيش .

٣ - حرية العقيدة :

كان التسامح هو أهم المبادئ التي قامت عليها سياسة أكبر ، فأتاح لجميع رعاياه حرية العقيدة والرأى ، وألغى ضريبة الجزية التي كانت تؤخذ من أهل الذمة ، كما ألغى جميع الضرائب التي كانت تفرض على الحجاج من الهندوك ، وسأوى في معاملته بين المسلمين والهندوك من رعاياه ، بل لقد كان أكثر محاباة للهندوك ، ولإرضائهم كان كثيراً ما يتبع تقاليدهم وعاداتهم ، وكثيراً ما كان يختلط بهم ويتظاهر باتباع عقائدهم .

٤ - الاهتمامات الاجتماعية :

كان أكبر شديد العناية برعاية رعاياه من الهنود فبذل جهده لكي يرفع عنهم ما نزل بهم من ضيم ، وعمل كذلك على أن يقضى على المفاسد والعيوب التي كانت تشوب المجتمع الهندي ، فنزع زواج الاطفال ، وحارب عادة حرق الارامل حية مع زوجها الميت ، وشجع زواج الارامل ، ودعا لمحاربة التمييز بين الطبقات ،

وعمل أكبر على نشر التعليم بين الجميع دون استثناء ، ففي عهده كان الهنود يدرسون مع المسلمين جنباً إلى جنب دون أى تفرقة في المركز أو الجنس أو العقيدة .

أثر هذه السياسة :

بهذه الوسائل جميعاً استطاع أكبر أن يضمن ولاء الراجبوت وتأيدهم ، ويمكننا تلخيص الفوائد التي جناها أكبر نتيجة لسياسة التسامح التي اتبعها فيما يلي :-

- ١ - انتهى خطر الراجبوت الذي كان يهدد الدولة .
- ٢ - عمل الراجبوت بعد خضوعهم على مساعدة الدولة ضد الأذبك وكل القواد الخارجين .

٣ - كانوا أعوناً له كذلك على الأفغانيين الذين أبعدوا عن العرش ، وكان من الحكمة أن يعمل السلطان على الإفادة من جهود الراجبوت ، فقد كانوا عنصرأ حرياً ممتازاً ، وكان من الحكمة كذلك أن يخضع الراجبوت لحاكم يقدر مزاياهم ، ويكافئهم على خدماتهم ، ويحترم شعورهم وعقائدهم .

أكبر والبرتغاليون

بعد أن أنشأ أكبر العبادة خاتنة في فاتمجبور سكرى ليجتمع فيها رجال الفكر في دولته ، أوصل دعوة إلى السلطات البرتغالية في جوا ، وطلب منهم أن يرسلوا إلى بلاطه بعض العلماء المتفقيين في الديانة المسيحية ليعرفوه الأسس الفلسفية لديانتهم . وفرح البرتغاليون بهذه الدعوة وطمعوا في غير مطمع ، فقد اشتد بهم الأمل إلى تبشير سلطان الهند ليعتق الديانة المسيحية .

الرسالة الأولى :

وفي سنة ١٥٨٠ ، وبعد سنة من وصول الدعوة ، أرسلوا السلطان رسالة

برئاسة الأب رودلف أكوافيفا Father Rudolf Acquaviva والأب
مونترات Father Monssrat وهما من أصدق الناس إيماناً وإخلاصاً لها .
وقابل «أكبر» المرسلين بكل أرحاب وعاملهم بكل احترام ، وسمح لهم أن
يبينوا كنيسة في مدينة أجرا ، وأظهر إعجابه الشديد بصورة المسيح والعذراء ،
بل لقد وضع ابنه سليم تحت رعايتهم ليحرب أثر التعاليم المسيحية في عقلية طفل
صغير غير متعصب .

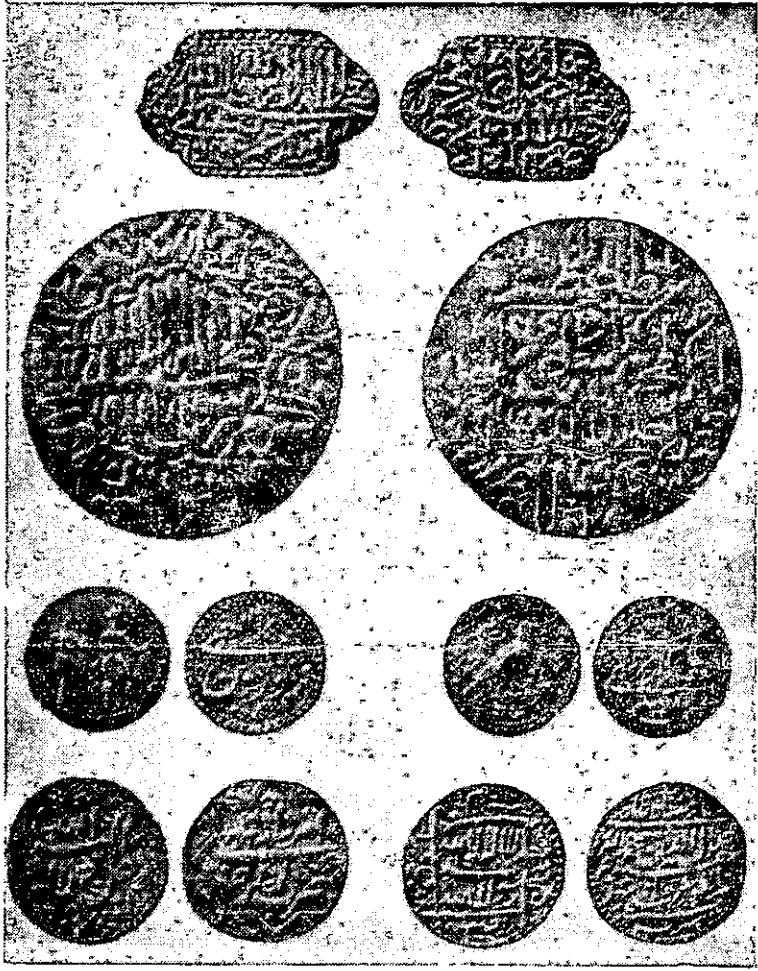
ولكن التجربة فشلت ، ولم يستطيع شيء أن يؤثر في إيمان الإبن بدينه ،
ومع هذا فإن الآباء لم يلبثوا أن شعروا بخيبة أمل كبيرة ، فإن السلطان لم يكن
غنيمة سهلة . وبعد أن أقامت البعثة ثلاث سنوات في بلاط السلطان ، عادت في
سنة ١٥٨٣ دون أن تستطيع تحقيق أهدافها ودون أن تستطيع تنصير أكبر .

الإرسالية الثانية :

وأرسلت إرسالية ثانية من جوا ، وصلت إلى القصر المغولي في سنة ١٥٩٠
ولم تكن أكثر نجاحاً من سابقتها ، فقد فشلت هي أيضاً في تنصير أكبر ، وبدأ
هؤلاء اليسوعيون يدركون أن عقل السلطان أكبر كان عقلاً شديد العصيان رغم
ما كان يحوهم به من رعاية ورغم ترحيبه بوجودهم في بلاده ، ولبثت هذه
البعثة في بلاط أكبر ثلاث سنوات أخرى (١٥٩٠ - ١٥٩٤) ثم عادت فحرق
كأختها أذيال الفشل .

الإرسالية الثالثة :

وصلت هذه الإرسالية الثالثة إلى لاهور حيث كان يقيم السلطان في ذلك
الوقت ، وقوبلت بحفاوة عظيمة ، وأحرزت نجاحاً لم تحزه البعثتان السابقتان ،
فقد سمح لها أن تبني كنائس في لاهور وأجرا ، وأن تقوم بالتبشير إن استطاعت ،
كما حصلت على بعض الامتيازات التجارية ، وبذلك أصبحت إلى حد ما مؤسسة
دائمة في الإمبراطورية المغولية .



عملات ذهنية باسم أ كبر

أفراض أكبر:

لقد خدع البرتغاليون أول الأمر في تشجيع أكبر ، وعقدوا عليه الآمال الكبار ، ولكنهم لم يلبثوا في النهاية أن أصيبوا بخيبة أمل كبيرة ، والسبب في هذا بسيط ، فقد كان الهدف الذي هدفت إليه أكبر من وراء استدعائه البعثات البرتغالية إلى بلاطه والاحترام العميق الذي أضفاه على نبيهم هدفا سياسيا أكثر منه دينيا ، فقد رغب في صداقة البرتغاليين أصحاب جوا ، لأنهم كانوا يملكون مدفعية ضخمة ، وكان هو يطعم في مساعدتهم له ضد قلاع أسيرجره Asirgarh ، وضد ابنه (سليم) الذي كان قد خرج عليه ، والحقيقة أن أكبر كان دائما رجل سياسة ورجل دولة أكثر منه رجل دين ، ووراء أعماله تسكن دائما بعض الدوافع السياسية .

الفصل الخامس

جلال الدين محمد أكبر

الفتوحات الإقليمية

بدأ أكبر على ضوء تجارب الماضي وعلى ضوء الأحداث الجارية المتابعة يخشى الأخطار والصعاب التي يمكن أن تقابله لو أن الهند ظلت كما كانت مجموعة من الولايات الصغيرة المتفرقة أو مجرد تعبير جغرافي .

وأدرك أن السبيل الوحيد لإقرار السلام هو إيجاد حكومة مركزية قوية تدير أجزاء الهند القصية ، أو بمعنى آخر هو العمل على توحيد الهند ، وتوحيد الهند كان يعني فتح كل أجزاء الهند التي لم تكن قد خضعت بعد لحكم المغول .

الفترة الأولى :

استولى أكبر على دلهي وأجرا بعد انتصاره في معركة بانيبات سنة ١٥٥٦ ، وفي عهد أتابكية بيرم خان ضم إلى ملكه أجمير ، وجواليپور ، وتشونار ، وميرتا . وفي سنة ١٥٦٤ كان قد خلص له عرش دلهي بعد أن أبعد بيرم خان واستولى على السلطة الفعلية ، ثم بدأ يعد العدة لكي يصبح حاكما على كل هندستان ، ولذلك بدأ سلسلة من الفتوح توجت أخيرا باستيلائه على أسيرجره في سنة ١٦٠١ .

١ - هندوانا :

في سنة ١٥٦٤ أرسل جيشا بقيادة آصاف خان لمهاجرة جندوانا - إحدى ولايات الراجبوت في الإقليم الأوسط من الهند - وكانت تحكم هذه الإمارة السيدة درجفاتي Durgavati نيابة عن ابنها الطفل الصغير ، وقد بذلت هذه السيدة جهدا غنيا للدفاع عن إمارتها الصغيرة وقاومت الجيش المغولي مقاومة باسلة ،

وعندما وجدت أخيراً أن المقاومة غير مجدية طعنت نفسها وخرت قتيلة في ميدان القتال .

وبذلك تم إخضاع جندوانا وضمها ، واستولى المحاربون على خزانتهما وعلى كيات هائلة من الغنائم ، أما بير نارايان Bir Narayan الراجا الصغير فقد استأنف القتال ، ولكنه لم يلبث أن قتل في المعركة بعد دفاع يائس عن شرف الأسرة .

٢ - موار Mowar :

في نهاية سنة ١٥٦٦ كان أكبر قد أخضع كل أعدائه ، ولهذا بدأ يوجه جنوده للاستيلاء على راجبوتانا ، إذ لم يكن من المعقول وهو يعمل لتكوين دولة هندية موحدة تحت حكمه أن يترك حصون هذا الإقليم وقلاع القوية تشرف على حدود مملكته . وقد شن أكبر على مدن موار المختلفة غارات وحروباً كثيرة ، قاد هو نفسه بعضها أحياناً ، وقاد ابنه سليم بعضها أحياناً أخرى . وقد قاوم أمراء موار غارات أكبر مقاومة عنيفة ، ودافعوا عن مدنها دفاع الأبطال ، ثم استسلم بعضهم ولجأ البعض الآخر إلى المناطق الجبلية يقاومون منها دولة المغول ، وانتهت المعارك باستيلاء أكبر على قلاع شيتور ، وكالينجار وأجمير .

وبذلك أصبحت راجبوتانا إمارة من الإمارات الإمبراطورية المغولية . وبدأ أكبر بعد انضمام معظم الراجبوت إلى جانبه يتفرغ لتحقيق بقية أطماعه في الأقاليم المجاورة الأخرى .

موجرات :

كان استيلاء همايون على إقليم موجرات استيلاء مؤقتاً ، ولهذا بدأ أكبر يعمل لاستعادة هذه الولاية المفقودة وضمها ثانية إلى الإمبراطورية المغولية ، وخاصة أنها قد أصبحت في عهده ملجأ لكل القواد الثائرين والرواسب العصاة ، فلجأ إليها الأزابكة وأمراء المغول ، وفيها قامت ثورة خطيرة .

وأهم من هذا كله ، كانت جوجرات ولاية خصبة وفيرة الثراء ، وكانت تجارتها البحرية المزدهرة تجذب إليها أنظار الطامعين وفي مقدمتهم أكبر .

وقد حان الوقت المناسب ليعمل أكبر على استعادة هذه الولاية التي كانت يوما ما جزءا من ملك أبيه ، وذلك لأن جوجرات كانت تسودها عوامل الفوضى والاضطراب نتيجة للصراع القائم بين مظفر شاه الثانى والحكام الذين كان همايون قد أقامهم هناك إبان حكمه .

ولم يكن مظفر شاه ذا شخصية قوية بل كان ألعوبة فى أيدي رجال دولته . وأخيرا أرسل اعتماد خان وزير مظفر شاه يستنجد بأكبر ويطلب إليه القدوم لإنقاذ الولاية من الفوضى التي تسودها .

وخرج أكبر بجيشه لمقاتلة مظفر شاه الذى أسرع - عندما علم بوصول الإمبراطور إلى عاصمته أحمد آباد - بالاختفاء ، وقدم رؤساء جوجرات خضوعهم وولاهم لأكبر . وعين أكبر أخاه حاكما على العاصمة أحمد آباد ، ثم اتجه لمحاصرة سورات التي لم تلبث أن سقطت .

ولم يكن أكبر قد رأى البحر من قبل . ولهذا انتهز الفرصة فقام برحلة إلى كامباى Cambay ونعم بزهة قصيرة فى المحيط .

وهناك أيضا وفق أكبر صلته بالبرتغاليين . وبعد أن أدخل بعض الإصلاحات الإدارية الضرورية فى هذا الإقليم عاد ثانية إلى فتح بور سكرى .

ولكنه لم يكند يغادر جوجرات حتى ثار حكام جوجرات ثورة خطيرة ، فأسرع أكبر بالعودة وقطع مسافة ستائة ميل فى تسعة أيام إلى أن وصل إلى أحمد آباد . وكانت هذه العودة السريعة مفاجأة للثائرين ، ولهذا سرعان ما منوا بهزيمة نكراء ، وأعيد النظام والأمن إلى إقليم جوجرات . والحقيقة أن فتح

جوجرات يعتبر إيدانا بيده عهد جديد في حكم أكبر ، فقد بدأت الإمبراطورية المغولية بعد هذا الفتح تخطو نحو المجد والرفاهية خطوات واسعات ، وذلك لأن إقليم جوجرات بدأ يقدم لخزانة الدولة إيرادا ضخما يقدر بنحو ٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روه وروية في السنة . وكان من نتائج هذا الفتح أيضا أن بدأ السلطان يتصل بالبرتغاليين اتصالا مباشرا لأول مرة ، وقد كانت لهذه العلاقات بين أكبر والبرتغاليين آثار سياسية هامة على تاريخ هذا العصر . كذلك مهد فتح جوجرات السبيل لفتوح أخرى ، فقد اتخذت كقاعدة تقدمت منها جيوش أكبر لغزو المملكة الجنوبية في الدكن ، كما أصبح غزو البنغال أمرا سهلا ميسورا .

٤ - البنغال :

كان سليمان كاراراني Suliman Kararani وقد أسس مملكة مستقلة في البنغال في سنة ١٥٦٤ ، وكان هذا الرجل حكيما فآثر السلامة ، واعترف لأكبر بحق السيادة على مملكته .

وبعد موته في سنة ١٥٧٢ ، خلفه ابنه دارد ، وكان عنيدا صلب الرأي ، فبدأ سياسة تختلف عن سياسة أبيه ، فأمر أن يخطب له على المنابر وأن تضرب السكة باسمه ؛ وبذلك أعلن استقلاله التام عن الإمبراطورية المغولية . وكان أكبر بعد فتح جوجرات قد مد حدود دولته في الغرب إلى الشواطئ المقابلة ، وقد أتيت له الفرصة عندما بدأ دارد يهاجم حصون زمانيا Zamania فقاد أكبر جيشه بنفسه لمقاتلته واستطاع أن يهزمه في أكثر من موقعة إلى أن اضطر دارد أخيرا أن يعلن خضوعه للسلطان ، وأن يدفع له الجزية ، وبذلك ضمت البنغال إلى الإمبراطورية ، وعين منعم خان حاكما عليها وتوفي منعم في سنة ١٥٧٥م فعمل دارد على استعادة ملكه المفقود ، ولكن أكبر أرسل إليه جيشا فهزم للمرة الثانية وحمل إلى أكبر في سنة ١٥٧٦ .

٥ - بابل :

كان الكثيرون من المسلمين السنيين ، وخاصة في الأقاليم الشرقية ، يتآمرون على السلطان ويعملون على خلعه وتولية أخيه الأصغر ميرزا محمد حكيم .

هذه المؤامرة وهذه الثورات التي كانت تتلاحق في سرعة عجيبة في مختلف الأقاليم شجعت ميرزا محمد حكيم ، فأقدم على إرسال حملتين متتائيتين لمهاجمة البنجاب : ولكن نصيبهما كان الفشل التام . ولم يأس محمد حكيم ، بل خرج في سنة ١٥٨١ على رأس جيش كبير يتكون من ١٥٠٠٠ جندي ، وقد حاول عبثاً أن يغري سكان الهند بالانضمام إليه . وقد استطاع أكبر أن يهزمه ، ثم تبعه إلى مملكته واضطره إلى التسليم . ولكنه كان كعادته كريماً مع أخيه ، فسمح له أن يلى حكم كابل كإمارة تابعة للإمبراطورية المغولية . وقد كان لفتح كابل نتائج كثيرة :

أهمها أنها كانت ضربة قاضية لثورات السنة الذين كانوا يطمعون في تولية ميرزا حكيم حاكماً على الهند لأنه كان سنياً مغالياً في سنيته .

— ومنها أنها أنزلت الرعب في أفئدة المتآمرين ، وبدأ الضعاف والمترددون يقبلون على أداء واجباتهم خوفاً من بطش السلطان .

— ومنها أن السلطان بدأ يحس بعد ضم كابل أنه تخلص من كل القيود التي تمنعه من إتمام إصلاحاته . ولهذا بدأ يعمل على تنفيذ مشروعه الديني .

— ومنها أنها أزال الحواجز التي كانت تمنع تدفق جنود الأفغان الشجعان إلى الهند ، وبذلك أتاحت للإمبراطورية المغولية مورداً للقوى الحربية لا ينضب .

وآخر هذه النتائج أن هذا الفتح وضع حداً للغارات المتجددة التي كانت تهدد الهند من الشمال الغربي .

سياسة أكبر في إقليم الحدود الشمالية الغربية :

كانت مشكلة الحدود الشمالية الغربية دائما موضوع عناية حكام الهند ، فقد كانت ذات آثار قوية في السیاستین الداخلية والخارجية جميعا .

ففي العصر الإسلامي الأول كان سلاطين الهند يتخذون دائما في هذه المنطقة احتياطات قوية ضد الغزو المغولي ، وكانوا يحصنون مملكتهم ببناء سلسلة من القلاع الحربية في المواضع المعرضة للهجوم ، تقيم فيها المسلحات الدائمة والقواد الشجعان المحنكون .

لهذا لم يكن غريبا أن يفكر أكبر سلطان الهند جديا في العناية بمنطقة الحدود الشمالية الغربية ، فبعد فتح كابل حاول إخضاع المنطقة القبلية ، وتوطئة لهذا نقل بلاطه إلى مدينة لاهور ، وظلت هذه المدينة مقر حكمه من سنة ١٥٨٥ إلى ١٥٩٨ ، وخلال هذه المدة كان يعمل دائما على إخضاع قبائل الأوزبك وقبائل الأفغان .

أما الأوزبك ، فقد استطاعوا بزعامه قائدهم عبد الله أن يطردوا ميرزا سليمان من بدخشان وبدأوا يتجهون بأنظارهم نحو كابل ، وقد لقي عبد الله تأييدا كبيرا من الأفغان السنيين لكرههم الشديد لأكثر السلاطين الملاحد .

٦ - كشمير :

تم إخضاع كشمير سنة ١٥٨٦ دون أية صعوبة أو مقاومة جدية ، فقد نقل إلى السلطان أن حكام كشمير من المسلمين قد ارتكبوا بعض الفظائع في معاملتهم لرعاياهم الذين كانوا في معظمهم من الهندوك ، واستغل أكبر هذه الفرصة السانحة للتدخل في شؤون هذه الإمارة المستقلة ، وقد دفعه أيضا إلى الاهتمام بها ما تتمتع به من جو جميل ومناظر ساحرة .

واتهزأ أكبر أثناء إقامته في لاهور فرصة الفوضى الضاربة أطنابها في كشمير وبدأ يعمل لضمها إلى ملكه، فأرسل قائديه : ميرزا شاه رخ Mirza Shah Rukh وراجا بهجوان داس Rajah Bhagwan Das لمقاتلة يوسف شاه ، حاكم كشمير وسرعان ما عقد الصلح بين الفريقين على أن يرسل يوسف شاه ولديه ليكونا رهينة عند السلطان أكبر ؛ غير أن أكبر لم يقبل هذه الشروط ، وأرسل جيشا ثانيا يقوده قاسم خان . واشتد ضغط الجيش المغولي على كشمير حتى اضطر يوسف شاه أن يعلن خضوعه ، ولكن ابنه يعقوب فر من المعركة واستأنف المقاومة إلى أن هزم واضطر هو كذلك إلى الاستسلام . وأكرم أكبر الحاكم وابنه ، وعين كلا منهما في وظيفة منصبدار ، واعتبرت كشمير منذ ذلك الوقت إقليما من أقاليم إمارة كابل .

وفي سنة ١٥٨٩ زار أكبر كشمير ، وعهد بإدارتها إلى عدد من القواد الجريين ذوي مقدرة وخبرة ، وأصبحت كشمير تتخذ مصيفا للإمبراطور المغولي منذ ذلك الحين .

٧ - السند وبلوختان :

كانت ملتان خاضعة لحكم المغول منذ سنة ١٥٧٤ ، وكان يعهد لحاكمها خاني خانان عبد الرحيم بالإشراف على فتح إقليمى السند وبلوختان ، وكانا لا يزالان غير خاضعين لنفوذ الامبراطورية المغولية .

وقد هزم ميرزا جاني بك Mirza Jani Beg حاكم السند في موقعتين ، واضطر في سنة ١٥٩٢ أن يسلم قلعته في سهوان Sahwan وولاية تسلا ، وبفضل مساعي حاكم ملتان سمح لميرزا جاني بك أن يستعيد ولاية تسلا ، كما عين قائداً على فرقة من ٥٠٠ جندي . وقدم جاني بك أكثر من دليل على ولائه واخلاصه ، وأبدى مهارة فائقة في معارك الدكن فيما بعد .

أما إمارة بلوخيستان ، فقد ضمت إلى الإمبراطورية المغولية في سنة ١٥٩٥ بعد معارك بسيطة .

٨ - قندهار :

وقد مهد الاستيلاء على السند وبلوخيستان الطريق لفتح قندهار وضمها ، وكان أكبر سعيد الطالع كعادته ، فقد أرسل ميرزا مظفر حسين حاكم قندهار يستنجد به بعد أن اشتد عليه ضغط الترك والأزابكة ، وفي سنة ١٥٩٥ استولت جنود أكبر على قندهار دون قتال .

معركة الدكن

بالاستيلاء على كابل وكشمير والسند وبلوخيستان وقندهار تم إخضاع كل أجزاء الهند الشمالية وأصبحت تكون دولة قوية مترابطة متحدة . ثم أتى دور الجنوب ، فقد كان أكبر يطمع دائما إلى ضم سلطنات الدكن الشيعية إلى إمبراطوريته ، وقد مكنته الأحوال المضطربة التي كانت تسود هذه السلطات من أن يصيد في الماء العكر . فقد كانت سلطنات أحمد نجار وبيجاپور Bijapur وجولكنندا Golconda وبرار وبنار Bidar في عداوة مستمرة ونزاع دائم بعضهم مع البعض الآخر .

لم يستغ أكبر هذا كله ، وحاول في أول الأمر أن يتبع الطرق الدبلوماسية ، فأرسل السفراء إلى أولئك السلاطين الشيعيين يطلب منهم الاعتراف بسيادته ، وأن يدفعوا له أتاوة سنوية . ولم يقبل هذه العروض غدير ملك خاندش ، ورفضتها بقية السلطنات ، مما دفع أكبر إلى إعلان الحرب عليها .

٩ - أحمد نجار :

كانت ولاية أحمد نجار بحكم موقعها الجغرافي أولى الولايات التي أصابها

الهجوم ، وساعد على هذا أيضاً أن عرشها كان في ذلك الحين موضوع نزاع بين اثنين من المتنافسين . وكان أحدهما قد أرسل يستنجد بالإمبراطور المغولي .

وأرسل أكبر إليها جيشاً كبيراً يشترك في قيادته ابنه الأمير مراد وقائده خاني خانان عبد الرحيم . وقد حاصروا المدينة في سنة ١٥٩٥ ، ودافعت المدينة دفاعاً مجيداً ، وقاومت تشاند سلطانة Chand Sultana مقاومة الأبطال .

وتمكن المغول أخيراً من إحداث ثغرة في استحکامات الدفاع ، ولكن تشاند سلطانة تقدمت في الحال بحجة الوجه وهي تشهر السيف في يدها واستطاعت أن تسد هذه الثغرة ، واضطرت قوات المغول - ولم يكونوا على اتفاق - إلى رفع الحصار . وعقد اتفاق مع السلطانة وبمقتضاه سلبت برار Berar إلى الإمبراطور ، واعترف ببيهاد رشاد الطفل الصغير الذي تكفله السلطانة ملكاً على أحمد نجار .

وقامت بعد ذلك خصومات داخلية ، كان من نتيجتها أن قتلت تشاند سلطانة ، وحاول المتآمرون نقض المعاهدة واستعادة برار من المغول ، وبذلك أعلنت الحرب على أحمد نجار مرة ثانية .

وفي فبراير سنة ١٥٩٧ ، قامت معارك خطيرة بين الفريقين ، وكانت الحرب سجالاتاً بينهما . وساد الاضطراب في معسكر المغول حتى اضطرت الإمبراطور أن يرسل إلى الميدان صديقه ومستشاره الخالص أبو الفضل . ووصل أبو الفضل إلى المعسكر بعد أن كان مراد قد توفي متأثراً بإدمانه على الشرب .

وفي سنة ١٦٠٠ ، خرج الإمبراطور بنفسه متجهاً إلى أحمد نجار ، واستولى في الحال على برهانپور ، واتجه الأمير دانيال وخاني خانان عبد الرحيم لحصار أحمد نجار . وافقت سكان المدينة وجنودها بطلتهم تشاند سلطانة وروحها المرجة وبطولاتها واستماتتها في الدفاع والتضحية ، ولهذا سرعان ما هزموا ،

وقتل من الحامية ١٥٠٠ جندي أثناء الحصار ، وبذلك خضعت أحمد نجار وضمت إلى الإمبراطورية المغولية .

١٠ - فائز شى :

ووصلت معركة الدكن إلى نهايتها في سنة ١٦٠١ حين هوجت أسير جسره أحد قلاع خاندش وضمت إلى الإمبراطورية المغولية .

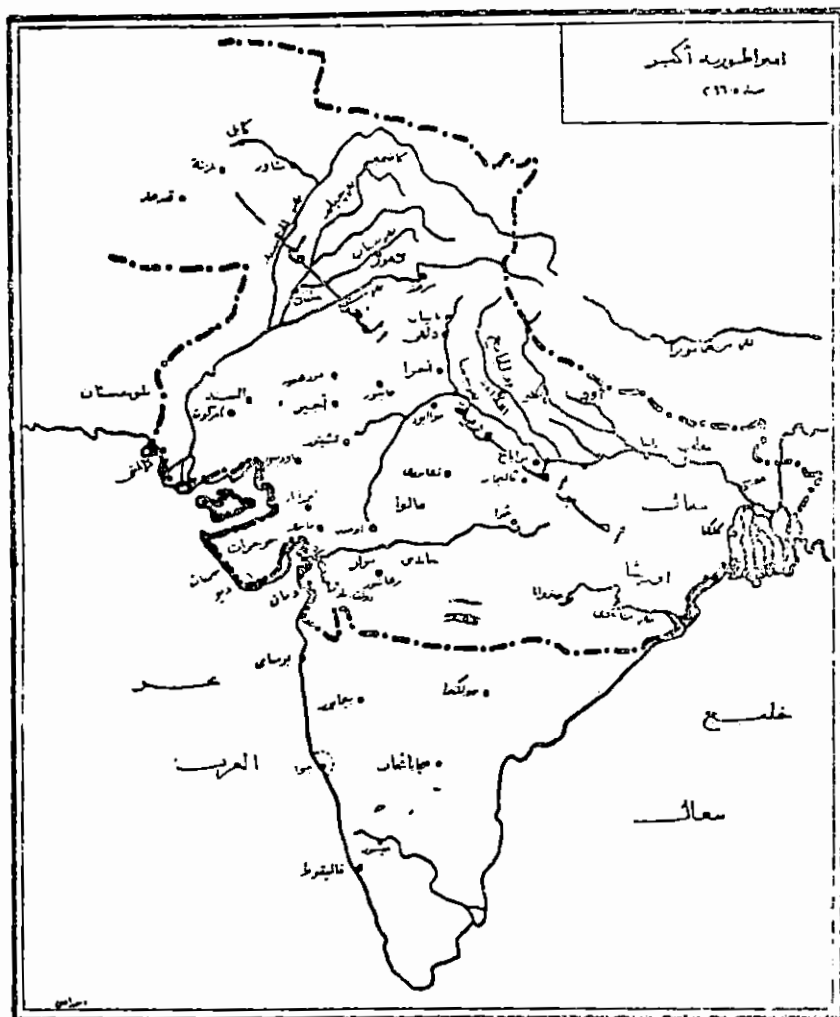
وقبل حصار أحمد نجار كانت خاندش قد أخضعت كما أسلفنا ، وكان حاكمها راجا على صديقا للإمبراطور ، ولكن السلطان الجديد ميران بهادر كان شابا عنيدا ، فشق الطاعة وأنكر تبعيته لأكبر ، وبدأ يتحصن في قلعة أسير جرة . وخرج أكبر بنفسه لإخضاع ميران بهادر ، وحاصر أسير جرة في سنة ١٥٦١ . واستمر الحصار سبعة أشهر . ودافع المحاصرون دفاع الأبطال ، ولكن أكبر لجأ إلى رشوة بعضهم . وبهذه الطريقة وحدها استطاع إخضاع هذه القلعة ، وبسقوطها سقطت ولاية خاندش كلها .

وقسمت الفتوح الجنوبية إلى إمارات ثلاث : أحمد نجار ، وخاندش ، وبرار ، وعين الأمير دانيال حاكما عليها جميعا .

حدود الإمبراطورية المغولية في عهد « أكبر »

في سنة ١٥٥٦ ورث « أكبر » عرش الهند ، فكانت مملكته مملكة ممتدة مفسكة يحكمها حكام مختلفون من الهنود ، ولكن عند موته ترك لخلفه إمبراطورية كبيرة مترابطة موحدة .

في سنة ١٦٠٥ ، كان أكبر الحاكم الوحيد لكل شمال الهند ، وامتد نفوذه في الدكن إلى جودا فرى Godavari . وامتدت حدود إمبراطوريته في



حدود الإمبراطورية المغولية في عهد أكبر

الشمال إلى جبال الهملايا . كما كانت هذه الإمبراطورية تمتد من البحر إلى البحر وتضم ١٨ ولاية كبيرة هذا بيانها :

(١) دلهي	(٢) أجرا	(٣) أود Oudh
(٤) الله آباد	(٥) أجير Ajmer	(٦) جورجرات
(٧) بنغال	(٨) بهار	(٩) أوريسا Orissa
(١٠) مالوا	(١١) السند	(١٢) ملتان
(١٣) لاهور	(١٤) كابل	(١٥) كشمير
(١٦) خاندش	(١٧) أحمد نجار	(١٨) جرار

وقد توفي دأ أكبر ، بعد استيلائه على أسرجرة بمدة وجيزة . وإذا كان قد قدر له أن يمتد به العمر قليلا فقد كان في عزه أن يعمل على ضم الأجزاء الباقية من الهند إلى ملكه .

الأيام الأخيرة في حياة « أكبر »

وقد سادت الأيام الأخيرة من حياة د أكبر ، الاحزان والآلام ، وكان أبناؤه مصدر قلق كبير له ، فقد توفي ولداه مراد ودانيال في سنة ١٥٩٩ و ١٦٠٤ على التعاقب متأثرين بإدمانها على المسكرات ، وإن كان قد امتد به العمر فإنما يرجع هذا في الغالب إلى بنيته القوية ، وقد أصبح سليم مثار قلق شديد لأبيه في شيخوخته ، وفي سنة ١٦٠٠ - وبينما كان الإمبراطور مشغولا بمعاركه في الدكن - ثار سليم ، وأقام لنفسه مملكة مستقلة في الله آباد .

وفي سنة ١٦٠٢ ، أصيب الإمبراطور العجوز بصدمة قوية عندما علم أن سليما قد اتفق مع واحد من قطاع الطرق لقتل أبي الفضل ، ومع هذا فإن العلاقات قد تحسنت بين د أكبر ، قبيل موته وبين ابنه فأعلنه وليا للعهد ، واحتفل بهذا

برابہ صریح اکبر — اجرا



الإعلان احتفالا مناسبا . غير أن الأمير سليم لم يكن محبوبا من الشعب ، ولهذا فقد حاول جماعة من الراجبوت الموجودين في البلاط الإمبراطورى أن يجعلوا ولاية العهد الأمير خسرو بن سليم . ومع أن المؤامرة فشلت ، فقد سبب كثيرا من المتاعب للإمبراطور الشيخ وهو على شفا حفرة من الموت .

وفي سنة ١٦٠٥ ، أصيب دأكبر ، بدوستتاريا شديدة ، وعجز الأطباء عن علاجه ، وكان هذا المرض السبب في وفاته ، ودفن في ضريحه الذى كان قد بدأ بناءه في سكندرا والذى آتمه فيما بعد ابنه جهانبير .

وفي عهد السلطان عالم جير (أورنجزيب) خرب الجات Jats هذا الضريح ، ونبشوه ، وأخرجوا عظام الإمبراطور العظيم دأكبر ، وأحرقوها وذروها في الهواء .

الفصل السادس

أكبر والدين الإلهي

أكبر الحاكم المتدين :

ولى د اكبر ، العرش فى سنة ١٥٥٦ وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وظل يحكم الهند خمسين عاما ، وكان فى العشرين سنة الأولى من عمره مسلما سنيا كالحسن ما يكون المسلم السنى ، يحافظ على أصول الدين ، ويؤدى الصلوات فى المسجد وفى أوقاتها ، بل لقد كان يقرم أحيانا مقام المؤذنين فيدعو الناس للصلاة . وكان يحترم علماء الدين والمتصوفة الزاهدين ويحلمهم ويؤثر صحتهم ، فيقضى فى حضرتهم الساعات الطوال ، ولا يتردد فى إجابة مطالبهم مهما ضلّت . وكان يحج فى كل عام لزيارة ضريح الشيخ الششتى فى مدينة أجمير ، فيطوف به عدة مرات ، ثم يجلس فى حضرته وقتا طويلا ، وقد سمى ابنه سليم باسم هذا الشيخ وهو الذى سيعرف فيما بعد باسم جهانبجير .

وكان د اكبر ، لا يبدأ عملا أو قولا إلا بدأه بقوله : « يا هادى يامعين » . وكان لهاتين الكلمتين - فيما يقال - أثر المحر فى نفسه ، كما كانتا تثيران حماس أتباعه الشديد ، فكان جنود جيشه مسلمين وهنود إذا سمعوه يدعو هذا الدعاء يرددونه وراءه فى صوت جهورى ، ثم ينقضون على العدو دون خوف أو وجل .

وكان د اكبر ، يعتقد فى الفقراء والمتصوفة ، ويزور زواياهم حافى القدمين فى أغلب الأحيان . وقد دفعته هذه الروح الدينية على الإقبال على دراسة القرآن والحديث ومسا عده حافضته القوية على استيعاب كل ما يلقيه عليه أساتذته .

ولم يقتنع دأ أكبر ، بهذا ، بل أصدر أوامره لتعيين القضاء والمفتيين في كل جزء من أجزاء مملكته ليحكموا بين الناس بالعدل تبعاً لأصول الشريعة الإسلامية . وكان يستجيب لمشورة العلماء في اضطهاد المتزندق والملاحدين . وكان أكبر يقرب إليه عدداً من العلماء كانوا له بمثابة الزواد يوجهونه ويشفقونه ، ومن أشهرهم بيرم خان ، وعبد الله مخدوم الملك ، والشيخ عبدون نبي .

ولكنه كان يؤثر الشيخ عبدون نبي بتقديره واحترامه وثقته حتى إنه عينه صدراً للدولة ، وكان يدعوّه إلى حضرته يومياً حيث يجلس بين يديه ليتلقى دروساً في الحديث .

عبادة خانة والتحرير لأعماله الربيع الدارهي :

هكذا بدأ دأ أكبر ، ، وهكذا ظل طوال العشرين سنة الأولى من حكمه مسلماً سنيامندينا مخلصاً لعتيدته ، مما جمع قلوب السنة من مسلمي الهند على حبه وتأييده . ولكنه انقلب فجأة إلى رجل حر التفكير ، ونفض عن عقله وروحه هذا الإخلاص القديم ، وبدأ يفكر في إيجاد دين جديد . فبدأ في سنة ١٥٧٥ بإنشاء دار خاصة في فاتمبورس كرى دعبادة خانة ، ودعا الفقهاء والعلماء من السنة والشيعة مساء كل خميس لحضور هذه الدار ، ومناقشة المذاهب في حضرته ، بغية التقريب بين الآراء المختلفة ، وتوحيد الإسلام في مذهب واحد . ولكن هذه المناقشات لم تأت بالنتيجة المطلوبة ، بل على العكس وسعت الشقة ، وزاد في عوائل الخلاف ، وراح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالكفر والمروق . وفي إحدى أمسيات الخميس في سنة ١٥٧٨ ، اشتد النقاش بين العلماء ، حتى لقد وصم بعضهم البعض الآخر بالكفر في حضرة السلطان . ولم يكن هناك أمل في تأليف العلماء - وهو الهدف الذي كان يرمى إلى تحقيقه دأ أكبر - . وعند ذلك ألقى على الحاضرين سؤالاً عام :

« من يكون صاحب الحق في إصدار الفتاوى والأوامر الدينية الواجب اتباعها إذا اشتهد الخلاف بين الفقهاء ؟ » .

وتقدم واحد من الحضور ، وهو الشيخ مبارك ، وقال : « إن السلطان يكون صاحب هذا الحق » .

وتنفيذاً لهذا الاقتراح ، كتب محضر لإعلان « أكبر » إمامي عادل Imami Adel ، أي إماماً عادلاً ، ووقع على هذا المحضر العلماء والفقهاء في رجب من سنة ٩٨٧ هـ ، ومن بينهم مخدوم الملك وعبدون نبي ، ووقع عليها بالموافقة كذلك الإمبراطور « أكبر » .

هذه الوثيقة وضعت السلطة كلها في يدي « أكبر » ، ورفعته إلى مرتبة أعلى من مرتبة انجتهد وهي مرتبة الإمام العادل ، وأصبح « أكبر » بذلك الحاكم المطلق ، على أن يكون عماد حكمه الرجوع إلى القرآن والسنة والقياس . وأهم من هذا أن هذه الوثيقة جعلت لا أكبر - إلى جانب سلطانه الزمنية - السلطان الروحي على رعاياه ، وبالتالي سلب العلماء هذا السلطان ولم يعد لهم الحق في أن يتدخلوا في شئون الحكم .

اعلام الدين الالهي :

وبعد قليل خطا « أكبر » خطوة أخرى أشد جرأة . فبدأ يفكر في وسيلة تمكنه من توحيد المجتمعين الإسلامي والهندي ليقل الخلاف بين رعاياه . وليصبحوا أكثر توائماً وانسجاماً . وهداه تفكيره إلى إنشاء دين جديد يجمع أصول الديانتين الإسلامية والهندية ومحاسنهما . ولم يسمح حتى ذلك الحين بدخول عباد ذخانة إلا لعلمائه المسلمين . فبدأ أكبر بدعوة علماء الأديان الأخرى لهذه الدار والمشاركة في النقاش والجدل الديني يدافع كل عن فريضة وعن دينه

ويبدى محاسنه . وبعد هذه التمهيدات : دعا السلطان إلى اجتماع عام حضره كبار العلماء من كل دين ، وقادة الجيش ، وفيه تحدث السلطان عن الأضرار التي تعود على المجتمع من كثرة الأديان وتعددتها ، وأعلن عن ضرورة إيجاد دين واحد يضم محاسن الأديان المختلفة الموجودة في الهند ويعتقه الجميع ، وبهذا - كما قال - يمكن تقديس الخالق ، ويمكن للسلام والرفاهية أن يسودا بين الناس ، وأن يشمل الأمن الدولة .

ولقد سمي ، وأكبر ، هذا الدين الجديد (دين الهى Din - Ilahi) أى الدين الإلهى ، وتلخص أصوله في : توحيد الله ، وهو حجر الزاوية في الإسلام ، وتقوم طقوسه على أسس من الصوفية المستمدة من الديانتين الهندوكية والزرادشتية ، وفرض على أتباع هذا الدين أن يؤمنوا بوحداية الله ، وبأن ، أكبر ، خليفة على الأرض ، وأن يقدموا لجلالاته أربعة أشياء : الثروة والحياة والشرف والدين . وفرض عليهم أيضا أن يمتنعوا عن أكل اللحوم بجميع أصنافها ، وأن يسجدوا للإمبراطور .

ومن طقوس هذا الدين الجديد : تقديس الشمس والنار ، وحدد يوم الأحد ليكون يوم الاحتفال بدخول الناس في الدين الجديد . وفيه يتسلمون من صاحب الجلالة ، الاسم الأعظم ، وشعار الدين الجديد وهو ، الله أكبر ، .

ووضع للدين الإلهى تحية جديدة تحمل محل تحية الإسلام ، السلام عليكم ، وردها ، وعليكم السلام ، ، وجعل التحية الجديدة ، الله أكبر ، وردها ، جل جلاله ، .

وبين الحين والحين كان الإمبراطور يصدر لأتباع دينه الجديد بعض التمنيات واللائح الجديدة . .

الدين الإلهي بين مؤيديه ومعارضيه :

فالدين الجديد - كما يتضح من هذه القواعد والأسس - يعكس أهداف الإمبراطور الذي كان يرمى من ورائها إلى توحيد الأجناس الهندية المختلفة تحت راية دين واحد وعقيدة واحدة ، فالروح التي دفعت أكبر إلى ابتداع هذا الدين هي روح الحاكم المصلح الذي يريد أن يزيل الفوارق بين رعاياه والذي يعتقد أنه كلما زادت عوامل الألفة والوحدة بين الشعب كلما أدى هذا إلى قوة الدولة وأمنها واستقرارها .

وإذا نحن نظرنا إلى هذا الدين الجديد نظرة فاحصة ، وجدنا أنه اقنيس الروح من الإسلام ، بينما صاغ الجسم من الهندوكية والزرادشتية .

فالروح التي تتمثل في وحدانية الله مأخوذة عن الإسلام : والجسم الذي يتمثل في الطقوس المختلفة مأخوذة عن الديانتين الآخرين . ولم ينس الدين الجديد أن يرضى المسيحيين ، فجعل يوم أحد يوم التدشين للداخلين فيه أو المؤمنين الجدد ؛ وبذلك خرج هذا الدين الإلهي الجديد وهو يمثل جميع الأديان الموجودة في الهند ، فهو دين عالمي هندي ، فيه ما يرضى وفيه ما يجذب أتباع كل دين آخر .

وقد اختلف المؤرخون في تقديرهم لهذا الدين الجديد ، فأعجب به الكثيرون من الغربيين ، ورأوا فيه بشير نهضة أو حركة إحياء هندية كبرى ، وقالوا في مجال الدفاع عن « أكبر » : « إننا لسنا نحسن فهمه وفهم دينه الجديد ، يجب أن ننظر إليه على أنه حاكم مصلح مجدد منشئ للإمبراطورية قوية ، لا على أنه نبي أو رسول جاء يبشر بدين جديد ، فالعقيدة التي دعا لها لم تكن هدفاً في حد ذاتها ، وإنما كانت وسيلة لهدف أكبر ، وهو التوحيد بين طوائف الشعب لتكوين هند قوية موحدة . »

وأما معارضوه فهم كثير ، بعضهم من الغربيين ، والغالبية من المسلمين ، وخاصة من مسلمى الهند - معاصرين وغير معاصرين - ، وهؤلاء لا ينظرون إلى الدين الجديد باعتبار أنه دين أولا ، وهكذا سماه صاحبه ، ويحكمون على « أكبر » باعتباره ملصكا مسلماً دعا إلى دين جديد معظم ما فيه لا يقره الإسلام بل يعتبره مروفاً وإلحاداً وكفراً -

يقول سميث Smith أحد الغربيين الذين أُرخوا لأكبر : « كان الدين الإلهي دليلاً على حماقة أكبر » ، ويسمى هذا الدين في مكان آخر من كتابه : « بالاختراع الضعيف » .

أما رأى المجتمع الهندي الإسلامي في الدين الإلهي فيمثله خير تمثيل ما كتبه المؤرخ المعاصر « بداؤني Badaoni » . لقد اعتبر هذا الكاتب - وكان محققاً في رأيه - الدين الإلهي كفراً وإلحاداً ، وأحصى النواحي التي خرج فيها عن الإسلام في النقاط الآتية :

١ - أباح السجود للإمبراطور ، والإسلام يمنع السجود لإلله سبحانه وتعالى .
٢ - دعا إلى عبادة أو تقديس الشمس والنار ، وفي هذا رجوع للوثنية القديمة .
٣ - سمح بوضع الخلايف في القصر الإمبراطوري ، واعتبر النظر إليها كل صباح عملاً يستحق التقدير ، والإسلام يحرم أكل لحم الخنزير وبالتالي يحض على كراهيته .

٤ - حرم أكل لحم البقر والثوم والبصل وهذه أشياء أحلها الإسلام ، كما حرم تربية اللحي ، وقد كانت اللحي شعار المميز للمسلمين في الهند في ذلك الحين ، لأن الهندوكيين كانوا يملقون لحاهم .

٥ - نفى عدداً كبيراً من الملا Mullahs ، أي علماء المسلمين وشيوخهم .

٦ - منع ختان الأطفال قبل سن الثانية عشرة ، وزواج البنات قبل سن البلوغ .

٧ - حارب دراسة اللغة العربية .

٨ - منع الأذان والصلوات الجامعة .

٩ - أمر بتغيير الأسماء الإسلامية من أمثال محمد وأحمد ومصطفى لأنها تسبب الضيق للإمبراطور .

١٠ - أوقف الحج إلى مكة وصيام شهر رمضان .

١١ - حرم دراسة القرآن والحديث .

١٢ - أمر بأن تحول المساجد والجوامع إلى مخازن وأماكن للحراسة .

ويختم بداؤنى بقوله : « إن الإسلام بهذا قد هدمت أركانه وأنقض بنيانه ، ولم يمتد غير خمس أو ست سنوات حتى انقلب كل شيء رأساً على عقب ولم يبق في نفس «أكبر» أثر ضئيل من دينه القديم القويم الإسلام ، بل لقد أبدى مظاهر العداء الشديد للدين الذى آمن به في شبابه والذى آمن به أسلافه من قبل » .

وهكذا يعتبر بداؤنى - ويوافقه في هذا سميث - سنة ١٥٨٢ ، وهى السنة التى أعلن فيها الدين الإلهى ، حداً فاصلاً في حياة «أكبر» ، ويريان أن «أكبر» لا يمكن اعتباره مسلماً بعد هذه السنة .

ولم تكن التغييرات التى أحدثها «أكبر» مقصورة على الدين وحده ، بل أحدث تغييرات أخرى تؤذى شعور المسلم ، لأنها ذات صلة وثيقة بالتشريع أو النظام الإسلامى ، فقد تزوج أكبر من بنات أمراء الهندوك ليرتبط وإياهم برابطة ولاء النسب ، غير أنه سمح لأوائك الزوجات بالاحتفاظ بدياناتهن وبأهليتهن .

بشعائر هذه الأديان داخل القصر الإمبراطورى . كما أنه استبدل بالتقويم الهجرى تقويماً جديداً أسماه التقويم الإلهى ، يندس به سنة جلوسه على العرش وجعل شعار أتباعه « الله أكبر » وكان يمتنى به أن « أكبر » هو الله .

هذه الحركة هزت المجتمع الإسلامى فى الهند مرة عنيفة ، غير أن كل من عارضها أرقاومها من العلماء كان نصيبه النفي والاضطهاد والتشريد . ومع هذا فقد لقيت الحركة تأييداً من بعض العلماء المسلمين الذين كانوا يبتغون الوسيلة والتقربى إلى السلطان . والحقيقة أنه لولا تأييد هذا النفر من العلماء لما استطاع « أكبر » أن يقيم دعائم دينه الجديد ، وفى هذا يقول أحمد سرهندي :

« وما لا مجال فيه للشك أن كل ما وقع من المداينة والتخاذل فى الأحكام الشرعية فى هذا الزمان ، وما ظهر من الفساد والوهم فى نشر الدعوة الإلهية وإبقاء مآثرها فى هذا العصر ، إنما يرجع سببه إلى علماء السوء الذين هم لصوص الدين وشر من تحت أديم السماء ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون . »

ومع هذا ، فإن نفراً من العلماء الآخرين المخلصين الثابتين على إيمانهم ، المتمسكين بدينهم ، عارضوا الدين الإلهى معاوضة عنيفة ، وكان على رأس هؤلاء هذا العالم الذى اقتبسنا قوله الآن السيد أحمد سرهندي ، فقام هذا الرجل بحركة تجديدية مضادة ، تعتبر فى الواقع رد فعل للحركة « أكبر » الالحادية .

الفصل السابع

أحمد سرهندي

(٩٧١ - ١٠٣٤ هـ / ١٥٦٤ - ١٦٢٥ م)

ويعرف أحمد سرهندي بإسم د مجدي ألفي ثاني ، أى مجدد الألف الثانية ،
أو هو واحد من كبار المسلمين والمتصوفة الذين برزوا في تاريخ الهند ، وقد
بذلوا جهودا كبيرة في سبيل تجديد الإسلام وتنقيته من الشوائب التي لصقت به
وخاصة بعد حركة المهرطقة والمروق التي كان قد أبدأها الإمبراطور « أكبر » ،
(١٥٥٦ - ١٦٠٥) .

حياته الأولى :

ولد أحمد في مدينة سرهندي (إحدى مدن ولاية پتالا Patiala في شرقي
البنجاب) في سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٤ م) ، ووالده الشيخ عبد الأحد ينتهي نسبه
إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، وقد تلقى أحمد علومه الأولى على والده ،
ثم أتم دراسته بعد ذلك في مدينة سيالكوت Siyalkot .

واتجه أحمد بعد ذلك إلى العاصمة أجرا حيث كان دائم التردد على مجالس
الوزراء الأول أبي الفضل وأخيه فيضي ، وهما من العلماء البارزين في ذلك الوقت ،
ويرجع مؤرخه أنه كتب في هذه الفترة رسالته الصغيرة التي سماها الرسالة
التهليلية ، في نقد المذهب الشيعي (وقد ترجم هذه الرسالة فيما بعد إلى العربية
شاه ولي الله دهلوي ، وألقي بها مقدمة تحدث فيها عن التيارات الدينية في بلاط
الملك « أكبر » ، وعن نشاط الشيخ أحمد) .

وبعد سنوات قليلة عاد إلى مدينة سرهند ، وفي سنة ١٠٠٨ هـ دخل في الطريقة النيشيندية بعد أن أخذ العهد على أحد شيوخها وهو الخواجة باقى بالله (ت ١٠١٢ هـ) الذى كان يقيم في مدينة دلهى في ذلك الوقت .

أحمد سرهنرى ومهناجير :

نشأ أحمد سرهندى في الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة (١٦م) في نفس الوقت الذى كان د أكبر ، يدعو فيه لدينه الجديد ، فأخذ يرقب الأحوال ، وبدأ ينظم حركة واسعة لمعارضة هذه الحركة الإلحادية . وبث أتباعه ومريديه في أنحاء البلاد ، وكتب إلى قواد الجيش وكبار الموظفين من يأنس فيهم الرشد والإسلام الصحيح ينبههم إلى هذا الخطر الداهم . ويحذرهم عاقبة هذه الفتنة العمياء ، وما قد يكون لها من آثار خطيرة على الإسلام والمسلمين في الهند .

ولم تظهر آثار دعوته إلا بعد موت د أكبر ، ، وفي عهد ابنه جهان جير (١٠١٤ هـ - ١٠٣٧ هـ) ، فقد سار هذا الإبن على نهج أبيه واضطهد علماء السنة ونكل بهم ، وقرب إليه علماء الشيعة واتخذهم بطانة له .

وعندما اشتد حماس الشيخ أحمد في معارضة الدين الإلهى وما خلفه من آثار وفي مناهضة المذهب الشيعى ، وعندما نشط هو وأتباعه في دعوتهم التجديدية لمحاربة البدع والعودة بالإسلام إلى أصوله الأولى ، غضب عليه جهان جير بإيعاز علماء الشيعة ورجال القصر ، واعتبر نشاطه خطرا على الدولة والعرش ، وأمر بالقبض عليه ، وسجنه في حصن جوالبور ؛ ولكنه سرعان ما عفا عنه ، وأمر بإطلاق سراحه ، وخلع عليه ، ووصله بمبلغ من المال .

وقد اختلفت الروايات عند ذكر الأسباب التى دفعت الإمبراطور إلى ذلك فيروى أنه رأى فيما يرى النائم أن الشيخ أحمد قد ظلم ، وأن رجلا صالحا يقول له وهو عاض على يديه :

« ويحك قد حبست رجلا لا ترى مثله في الصلاح والورع » .

وتقول رواية أخرى - وهي أقرب إلى الصحة - إنه لم يمض على دخول الشيخ أحمد السجن إلا أيام قليلة ، حتى تغير الحال غير الحال ، وأخذ الرجل ينفض من روحه بين المسجونين والجناة من القتلة والسارقين ويلقى عليهم مواظته ، فإذا بهم بين يوم وليلة قد انقلبوا خلقا آخر ، وبدأوا يأتمرون بأوامر الشيخ في ذلة وخشوع ، ويؤدون فروضهم الدينية في أوقاتها وفي حرص شديد ، مما أثار عجب مدير السجن وإعجابه ، فكتب إلى الإمبراطور يقول له : « إن هذا السجين - الشيخ أحمد - ليس كغيره من نزلاء السجن ، وإنما هو في الحقيقة ملك قلبا يأتي الدهر بمثله ، فإن وافق السلطان أطلقنا سراحه وأكرمناه بما يستحقه » .

عند ذلك ندم جهانجير على ما صدر منه في حق الشيخ أحمد ، وأمر في الحال باحضاره إلى قصره في أجرا ، ولما علم بقربه من العاصمة ، أرسل ابنه وولي عهده الأمير حزم - شاه جهان فيما بعد - لاستقباله والترحيب به . ولما دخل الشيخ أحمد على الإمبراطور حياه وحيا حاشيته بتحيةة الإسلام ولم يسجد له ، فحفظها الإمبراطور في نفسه ، وتلقاه رغم هذا بالترحاب ، وأبقاه معه في القصر لينتفع بنصائحه .

نجاح حركة السير الأحمر التجريبية :

وكان لبقاء الشيخ في القصر آثار طيبة ، فقد استطاع أن يقنع الإمبراطور بإلغاء كثير من البدع التي استحدثها أبوه « أكبر » ، فأصدر بعد قليل أمرا ملكيا نص فيه على ما يأتي :

(١) - تحريم السجود للملك .

(٢) - إبادة ذبح البقر واكل لحمة .

- (٣) - إعادة بناء المساجد المهتمة .
- (٤) - إبطال قوانين المعارضة للشريعة الإسلامية .
- (٥) - تعيين القضاة والمحاسبين في مختلف المدن الهندية .

وبذلك أتت حركة الشيخ أحمد التيجيدية أكلها ، وعاد للجمع الإسلامي في الهند أطمئناؤه ، وانتهت حركة الاضطهاد لعلماء السنة ، وبدأ المسلمون يحسون الحرية التامة في القيام بشعائر دينهم .

مؤلفات السيد أحمد المجردي :

وقد كتب الشيخ أحمد جملة من الرسائل في موضوعات دينية مختلفة ، ومنها :

— المبدأ والمعاد (دلهي ١٣١١ هـ) .

— رسالة تهليلية ، وقد طبعت ملحقاً بمجموعة رسائله (مكتوبات) ، وطبعت في لكناو .

— مكاشفات غيبية .

— معارف لدنية .

— رسالة في إثبات النبوة .

— آداب المريدين .

— شرح رباعيات أستاذه خواجه باقى بالله .

وأشهر آثاره الفكرية جميعاً مجموعة رسائله المعروفة باسم (مكتوبات) ، التي كتبها باللغة الفارسية وأسلها إلى تلاميذه ومريديه وبعض الشخصيات الأخرى المعاصرة لشرح كثير من الموضوعات الإسلامية التي كانت موضع جدل ومناقشة ، ولا زالت هذه المكتوبات تحتل حتى اليوم مكانها الجدير بها بين أهم ما خلفه الفكر الإسلامي في الهند من تراث قديم .

السيرة المجددة المؤلف الثانية :

وقد أطلق مولانا عبيد الحكيم الميالكوتي بحق على الشيخ أحمد سرهندي لقب "مجددي ألفي ثاني" ، أي مجدد الألف الثانية ، وذلك تحقيقا للحديث الشريف الذي يقول :

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .
وقد عنى المسلمون في مختلف الأنظار الإسلامية بهذا الحديث كلما تأخرت بلادهم أو انتشرت فيها البدع المستحدثة ، فكانوا ينظرون إلى الوراء ويرون أن لا صلاح لحاضرهم إلا بالعودة إلى ما كان عليه النبي والصحابة في العصر الإسلامي الأول ، وبالعودة إلى أصول الإسلام ومنابعه الحقيقية من قرآن وسنة . وكانوا دائما يحصون أسماء من ظهر من المجددين على رأس المئين الماضية ، ويرتقبون ظهور المجدد الجديد . وقد كتب السيوطي أرجوزة أحصى فيها المجددين إلى القرن التاسع الهجري وسماها " تحفة المهتدين بأخبار المجددين " ، وجعل نفسه فيها المجدد للقرن التاسع وقال :

هذه تاسعة المئين قد : أنت ، ولا يخلف ما الهادي عهد

وقد رجوت أنني المجدد : فيها ، فضل الله ليس بمحمد

ونتيجة للجهود الطيبة التي بذلها الشيخ أحمد سرهندي لمحاربة البدع المستحدثة ولتجديد الاسلام وتخليصه من الشوائب التي عاقت به ، اعتبره معاصروه بحق مجدد الألف الثانية أي مجدد المائة الحادية عشرة ، وقد ذاع صيته وانتشرت طريقته وآراؤه خارج حدود الهند في أفغانستان وفي أواسط آسيا .

وفاته :

وتوفي الشيخ أحمد المجددي في سنة ١٠٣٤ هـ (١٦٢٤ م) ، ودفن في مدينة سرهندي ، ولا يزل الناس حتى اليوم يتوافدون على قبره لزيارته والتماس البركة في رحابه . وقد ازدادت شهرته ذيوعا ، وكثر تلاميذه وأتباع طريقته بعد وفاته ، وهم الذين يعرفون حتى اليوم باسم المجددية . وبما ساعد على انتشار تلاميذه وكثرة عددهم الأحوال النسيئة الاجمة بعد ذلك عن سيادة الشيخ وسيطرتهم على إقليم البنجاب .

المجدد في طريقة الشيخ أحمد :

ومع أن الشيخ اتصل منذ شبابه بكثير من الطرق الصوفية المعروفة على عهده - وخاصة الطريقة النقشبندية - فقد تحاشى الكثير من مغالاتهم ولا سيما زعائمهم وأفكارهم القائلة بوحدة الوجود. ثم حاول في طريقته أن يقرب بين فريقي الصوفية القائلين بفكرة التوحيد ووحدة الوجود ، وقال هو بالأخذ بفكرة وحدة الشهود بدلا من فكرة وحدة الوجود ، وذلك لأنه لاحظ أن الكثير من المتصوفة في عصره قد تأثروا بفلسفة البراهمة وأخذوا بكثير من عقائدهم وأفكارهم كوحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها ، ولذلك ركز الكثير من جهوده اتقييد الآراء والرد عليها ، وخاصة آراء محيي الدين بن عربي في وحدة الوجود والذي يدعو فيها لفكرة وحدة الشهود . وبهذا نستطيع أن نقول إن هذه الفكرة تعتبر بحق الشيء الجديد الذي قدمه الشيخ المجدد للعالم والفكر الإسلامي الديني .

مجهود الشيخ أحمد في إصلاح المجتمع الإسلامي في الهند :

ولم تقتصر جهود الشيخ المجدد على هذا ، بل لابد أن نذكر له مساهمته الحميدة لإصلاح شأن الحكومة ورجالها . فقد كان يعتقد أنهم القدوة وأنهم إذا صلحوا

صلحت الرعية ، وإذا فسدوا فسد المجتمع الذى يقومون على شئونه كذلك .
وكان الشيخ المجدد يعتقد أن الكثير من الفساد القائم ترجع أسبابه إلى العلماء
الذين تهافتوا على الدنيا وعلى إرضاء السلطان ، ولهذا بذل الكثير من جهوده
لمحاربة هذا الصنف من العلماء ومناهضة بدعهم والرد عليها . ولقد كانت حركة
أحمد سرهندي في الواقع عميقة الأثر في المجتمع الهندي الإسلامي ، فقد تأثر بها
الكثيرون بعده ، وكانت مهددة لحركة تجديدية أخرى قام بها بمسدد ثان في القرن
الثامن عشر ، هو العالم الهندي الكبير شاه ولي الله هلوى .

الفصل الثامن

نور الدين محمد جهانجير

هو سليم بن أكبر ، وقد ولد في مدينة أجرا في اليوم الثلاثين من أغسطس سنة ١٥٦٩ ، وكان قوى البنية دليح الوجه متناسق الأعضاء ، وقد تنقف بالثقافتين الفارسية والتركية ، كما حصل كثيراً من المعارف الهندية ، فكان يطرب لأغاني الهنود ، واشتهر فوق هذا وذاك بالشجاعة والجرأة .

شارك سليم في الأحداث السياسية في سن مبكرة ، فقد عين في منصب قائد لعشرة آلاف وهو بعد في التاسعة من عمره . وعندما بلغ السادسة عشرة رقى إلى منصب قائد لاثني عشر ألفاً ، وفي هذه السن أيضاً - أي في سنة ١٥٨٥ - تزوج سليم من ابنة راجا أمبر Raja of Amber .

وفي سنة ١٦٠٥ - خلف أباه على العرش . ولقب بلقب « البادشاه الغازی نور الدين محمد جهانجير » . وقد وعد منذ اللحظة الأولى أن يعمل على حماية الإسلام ورفعة شأنه ، فأبطل كثيراً من المكوس التي كانت تثقل كاهل الشعب ، وأمر بصنع سلسلة من الذهب تتصل بعدد من الأجرار في غرقته تحمل إليه إذا دقت ملتئم كل مظلوم أو صاحب شكاية .

نور الدين أكبر خسرو وموته :

وكان الأمير خسرو الابن الأكبر لجهانجير ينافس أباه في الملك ، فقد اتف حوله في آخر أيام « أكبر » عدد من الأمراء ورشحوه لتولي عرش المغول بعد جده ، ولكنهم لم يوفقوا في مسعاهم . ومع هذا ، فقد أتى خسرو إلى القصر ،

نسخه



بعد تولي جهانبجير العرش ، فأكرمه أبوه . ولكنه لم ينس له مسعاه السابق ، فأمره أن يقيم في قلعة أجرا والعيون ترقبه .

وفي أبريل سنة ١٦٠٦ تمكن خسرو من الفرار ، وقصد إلى البنجاب ، واستطاع بمساعدة بعض الحكام أن يكون جيشاً من ١٢٠٠٠ جندي وأن يتقدم لحصار مدينة لاهور .

وأرسل جهانبجير جيشاً آخر لمقاتلة ابنه . وهزم خسرو ، وحاول الهرب ، ولكنه قبض عليه ، وحل إلى الأسر ، وبقي فيه إلى أن مرض ومات في سنة ١٦٢٢ .

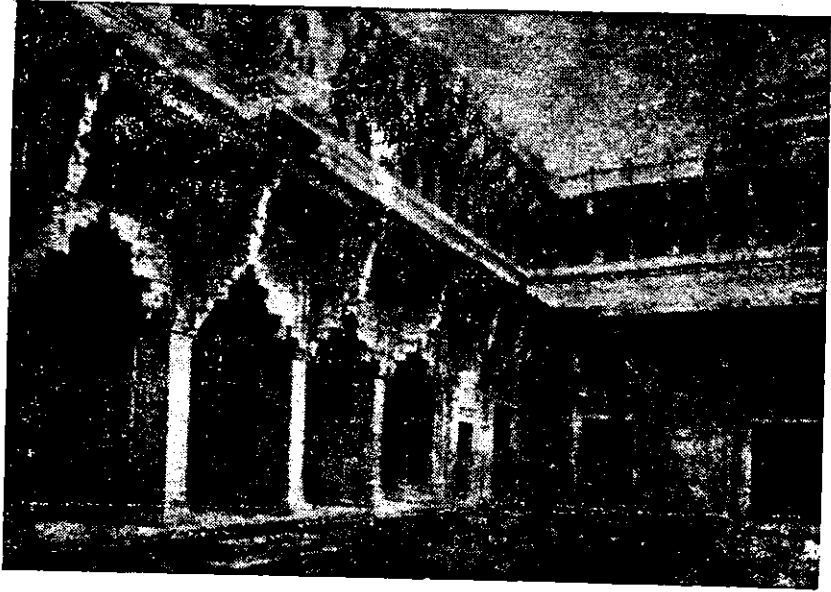
أعماله الحربية

١ - البنغال :

وقام الأفغان بثورات في إقليم البنجاب تحت زعامة قائدهم عثمان خان ، ولكن الحاكم المغولي الشاب إسلام خان استطاع بمهارته الحربية الفارقة أن يخضع هذه الثورات وأن يحرز انتصارات حاسمة في سنة ١٦١٢ . وبعد هذا النصر انكسرت شوكة الأفغان الذين دأبوا على مقاومة المغول منذ عهد بابر ، واستطاع جهانبجير بلباقته وسياسته الحكيمة أن يصطنع المنهزمين ، فسمح لهم بالانخراط في سلك الجيش الرسمي للدولة ، ونجح جهانبجير في هذه السياسة ، واكتسب صداقة الأفغان ، وبذلك أمنت الدولة شرهم .

٢ - موار :

وفي سنة ١٦٠٨ ، أرسل الإمبراطور قائده محبة خان إلى موار ، واستطاع هذا أن يطارد العدو ويدفعه إلى الالتجاء إلى التلال والمرتفعات . ولكنه لم يحرز نصراً حاسماً ، فاضطر جهانبجير أن يرسل الأمير خرم لإتمام القتال ، فاستطاع



جہانگیر محل - قلعة اجرا

بهارته أن يحرز أكثر من نصر ، وأن يتبع الراجبوت في فرارهم ، وأن يأسر عائلات كثيرة من قوادهم . واضطر الزانا نفسه أخيراً أن يطلب إيقاف القتال ، وأن يعلن خضوعه لنفوذ المغول ، ولكنه اشترط أن يعفى من المشول بين يدي الإمبراطور ، فأجيب إلى طلبه ، كما وافق على أن يقدم للدولة فرقة من ألف حصان ، وألا تقام أية تحصينات بعد ذلك في مدينة تشيتور Chitor ، وقد أجابه جهانجير إلى كل هذه الشروط .

٣ - قندهار :

وقد انتهز الشاه عباس ملك فارس فرصة ضعف قندهار وتقدم لحصارها . واستولى عليها في سنة ١٦٢٢ . وقد ضاعت الاستعدادات الضخمة التي أعدها جهانجير لاستعادتها دباء ، لأن شاه جهان رفض أن يطيع قرار وانه ويقود الجيش المعد لمقابلة قندهار ، بل وقام بثورة ضد أبيه .

٤ - الراك :

وقد تابع جهانجير منذ تولية العرش سياسة أبيه التوسعية في الدكن . وقد استمرت حروبة المتابعة ضد مملكة أحمد نجر طول عهده ، وعين الأمير خرم قائد لجيوش الدكن ، فاستولى على مدينة برهانپور ودخلها في شهر مارس سنة ١٦١٧ . واستطاع بمعاونة قواد محنكين ، مثل خان خانان وخان جهان ومحبة خان ، أن يجبر عادل شاه على قبول الشروط التي أملاها الإمبراطور ، وانتهى الأمر بأن سلمت مغانج قلعة أحمد نجر إلى الأمير خرم ، وقد أجزل الإمبراطور مكافأة ابنه ورقاه إلى رتبة قائد لثلاثين ألفاً ، وأضفى عليه لقب « شاه جهان ، أى ملك العالم ، وسمح له أن يكون الرجل الوحيد الذى يجلس فى حضرته . ولم يكده شاه جهان يغادر بلاد الدكن حتى بدأت المتاعب من جديد ، لقد انحنى ملك أمبر للعاصفة مؤقتاً ، فلما صفا الجو بعودة شاه جهان بدأ يرفع

۱۷۴۰



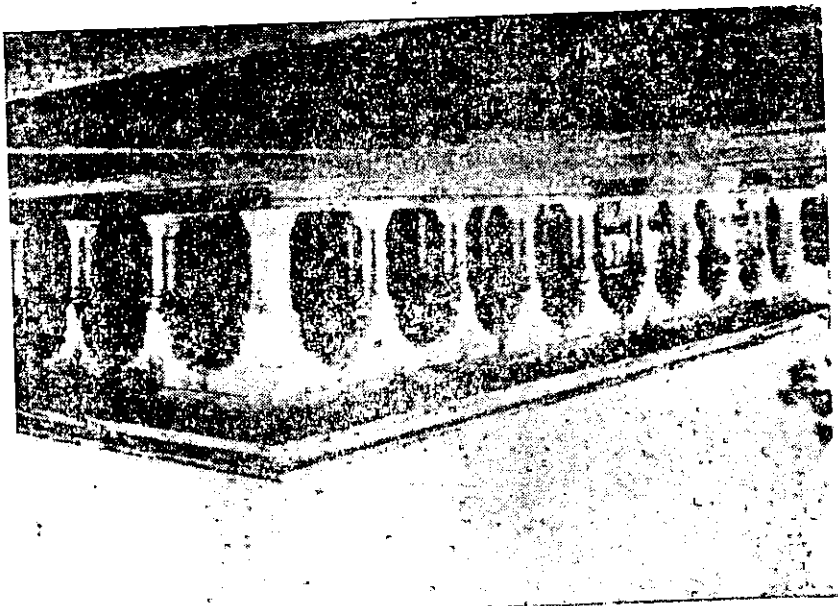
رأسه ثانية ، ففي سنة ١٦٢٠ نقض معاهدة سنة ١٦١٧ وعقد حلفاً مع جولدكندا وبيجاپور . وقد أحرز المغول بعض الانتصارات ، ولكن قبائل الماراتا Marathas سببوا لهم متاعب كثيرة ، ولم تلبث جميع الأجزاء التي سبق أن استولوا عليها من إقليمي أحمد نجر وبران أن فقدت منهم ؛ وحاصر أهل الدكن مدينة برهانپور نفسها ، وأرسل شاه جهان إلى الدكن ثانية فطارد الماراتا وطردهم بعد أن قتل منهم الجمع الغفير .

وتقدم الأمير لإنقاذ مدينة برهانپور ، فأسرع ملك أمير بإعلان خضوعه وعقد شاه جهان الصلح بنفس الشروط السابقة .

وللرة الثانية أحنى ملك أمير رأسه للعاصفة ، وللرة الثانية رفع رأسه في الوقت المناسب ، فقد انتهز فرصة المتاعب التي أصابت الدولة بديساح قندهار ورفض شاه جهان التقدم لاستعادتها ، وأعلن الثورة . وفي هذه المرة اتجه شاه جهان إلى أحمد نجر وعقد حلفاً مع ملك أمير ، وبدأ يحاصر برهانپور ، ولكن لم يكده يصل القائد المغولي بحجة خان من الشمال حتى رفع الحصار ، وعقد الصلح مع الإمبراطور الذي لم يلبث أن توفي بعد قليل .

من هذا يتضح أن سياسة جهانجير التوسعية في الدكن لم تصب نجاحاً يذكر ، وكانت عبقرية ملك أمير وسياسته الفذة هي السبب في هذا الفشل وفي المتاعب التي أصابت المغول في عهد جهانجير ، فقد أدرك ما لطبيعة هضبة الدكن من مزايا استراتيجية ، فاستغلها استغلالاً طيباً في صراعه مع المغول ، كما استعان بقوى الماراتا أعداء المغول ، وكانت النتيجة أن الدكن لم تخضع للمغول ، ورغم ملايين الروبيات التي صرفوها وآلاف الأرواح التي ضحوا بها ، فإن حدود الدولة المغولية لم تتسع ميلاً واحداً عما كانت عليه في عهد أكبر .

انجمن - قلمی نام - دیوانی نام



نورجهان :

كان اسمها مهر النسا ، وقد ولدت في سنة ١٥٧٧ . وفي السابعة عشرة من عمرها تزوجت من علي قلى استاجلو Auli Kuli Istajlu ، وهو قائد كان الامير سليم قد كافاه على شجاعته عندما قتل أحد النمرور بأن منحه لقب شير أفغان .

ولكن جهانبجير بعد أن تولى العرش بقليل سمع أن شير أفغان يعتزم الخروج والثورة . فأرسل إلى حاكم البنغال يأمره أن يرسله إلى العاصمة . وقد رفض شير أفغان الإذعان لهذا الأمر وجرح الحاكم جرحاً مميتاً ، مما دفع الحارس إلى قتله . وأرسلت أرملة شير أفغان وابنته الصغيرة إلى البلاط حيث عينت السيدة وصيفة للملكة الأم .

وفي سنة ١٦١١ ، شاهد جهانبجير مهر النسا مصادفة في السوق ، فأحبها وتزوجها .

كانت مهر النسا قد بلغت الرابعة والثلاثين من عمرها عندما تزوجت زوجها الثاني ، وقد لقبها زوجها بلقب « نورجهان » أى نور العالم ، فقد كانت ذا جمال رائع وثقافة ، تتقن اللغتين العربية والفارسية ، وتنظم الشعر . وبلغ من حبه واعتزازه لها أن أمر بضرب اسمها على السكة إلى جانب اسمه ، وهي حالة وحيدة لا نجد لها مثيلاً في تاريخ العملة الإسلامية .

كانت نورجهان تمتاز بطيبة القلب ، فعملت دائماً على مساعدة الفقراء ، ويقال إنها تبرعت بصدقات مئات من البنات عند زواجهن . وإلى هذا فقد كانت زوجة مخلصه ، خارقة الذكاء ، وكان خير ما يميزها قدرتها النادرة على فهم المعضلات والعمل على حلها . وطموحها الذي لا حد له ، وإرادتها الحديدية ، ولهذا فسرعان ما استولت على النفوذ في يديها ، وأصبحت القوة الفعالة وراء العرش . ولتأكيد

صلتها بالبيت المالك ، عملت على زواج الاميرة خرم من بنت أخيها . وظل نفوذها يتزايد شيئا فشيئا وخاصة عندما تقدم السن بزوجها الإمبراطور جهانجير وأصابة الضعف والهزال في مرضه الشديد الذي أصيب به في سنة ١٦٢٠ ، فعند ذلك بلغت سلطاتها ونفوذها في شئون الحكم والدولة القمة .

وفي نفس الوقت كان الأمير خرم قد أثبت جدارة ملحوظة كقائد وحاكم بعد النتائج الطيبة التي أحرزها في معاركه ضد موار والدكن ، ولهذا كان من العسير أن تستسيع نورجهان ذات الطبيعة المسيطرة تخليها عن مكانتها إذا نجح الأمير خرم في تولى العرش . ورأت بنظرها الثاقبة أن الأمير شهريار كان أضعف شخصية من أخيه خرم ، وأنه لذلك يصلح أن يكون أداة طيبة في يدها ، ولهذا بادرت بتزويج ابنتها التي أنجبته من شير أفغان من الأمير شهريار . ورغم أنه كان من المعروف لدى الجميع أن الأمير خرم هو ولي العهد ووريث العرش ، فقد بدأت تمهد السبيل ليخلف شهريار زوج ابنتها أباه جهانجير على عرش الإمبراطورية المغولية .

وبدأ الصراع ، وبذلك نورجهان جهودا جبارة لمحاربة نفوذ شاه جهان المتزايد ، ودفعته إلى اليأس دفعا ، حتى اضطر آخر الأمر أن يشق عصا الطاعة ويعلن الثورة علنا ، وبذلك نجحت نورجهان في تحطيم المنافس الخطير الأمير شهريار .

وبعد أن كان شاه جهان يعتبر حتى سنة ١٦٢١ الوريث الشرعي للعرش ، أصابته المذلة ، وفقد سلطانه ، كما فقد ثقة أبيه .

ولم تقتنع نورجهان بهذا ، فقد كانت تريد أن تكون وحدها صاحبة السلطان في الدولة ، وألا يكون لأحد غيرها نفوذ إلى جانب نفوذها ، ولهذا فقد بدأت

تغار من الشهرة التي كان يتمتع بها محبة خان كقائد موفق ، واعتبرته مصدر خطر لأنه كان يعارض آراءها في معظم الأحوال .

واستصدرت نورجهان أمرا باستدعاء محبة خان من البنغال إلى البلاط ، ورأى محبة خان أن الخيانة تسكن وراء هذه الدعوة ، فخرج في حماية خمسة آلاف من الراجبوت ، وقبض على الإمبراطور أثناء عبوره نهر تشيليوم ، أما نورجهان فقد استطاعت الفرار .

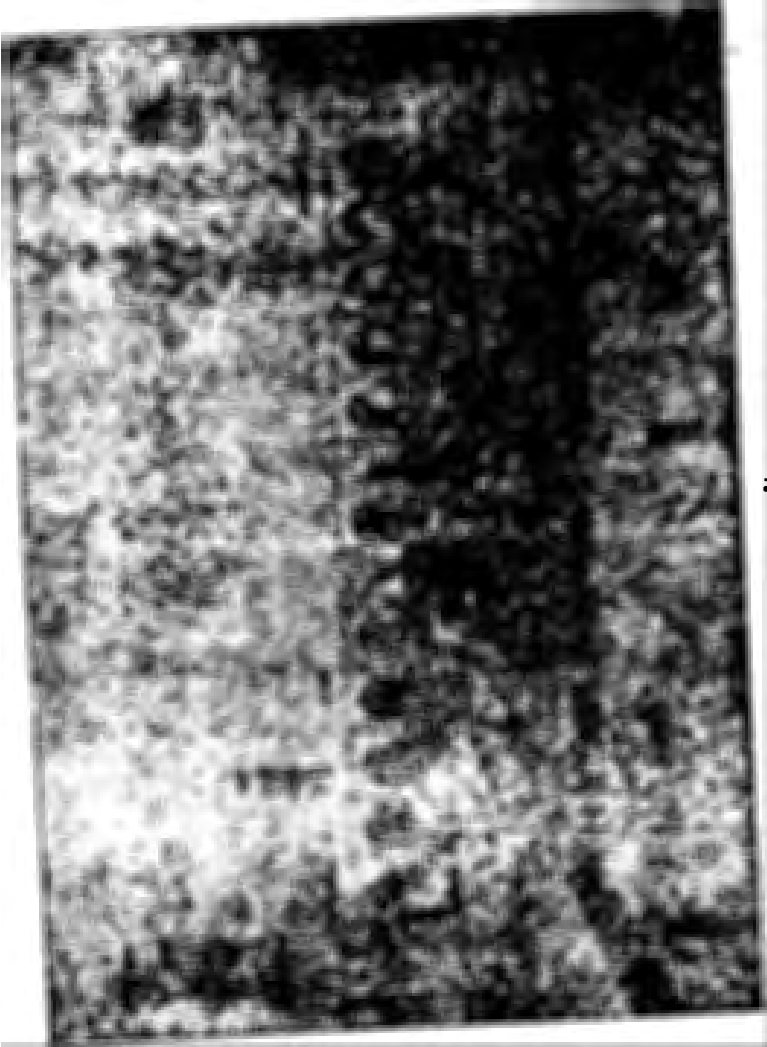
وقد أظهرت شجاعة فائقة ، وتنازلت هذه اللازمة بأعصاب قوية ، ولحقت بالإمبراطور وشاركته في الأسر .

وقد استطاعت نورجهان بذكاها الخارق ودهائها الماكر ومواهبها الدبلوماسية أن تتغلب على محبة خان وأن تنجح في إطلاق سراح الإمبراطور . فقد دبرت حيلة ماكرة لإبعاد محبة خان عن حرمه ، ثم استولت على خزانة أمواله حتى أصبح في ضيق مالى شديد . ولهذا لم يلبث أن ذهب إلى موارد ومنها إلى الدكن حيث انضم إلى شاه جهان .

وفي سنة ١٦٢٧ ، توفي جهاننجير وهو عائد من كشمير بعد أن قضى بها وقتا للاستشفاء ، وكان ابنه شيريار مقيما حين ذلك في لاهور ، فبادرت الإمبراطورة نورجهان — أم زوجته — بمساعدته حتى استولى على خزانة الدولة ثم أعلن نفسه إمبراطورا .

أما الإبن الأكبر ولي العهد شاه جهان ، فكان يقيم في الدكن ، فبادر حموه آصاف خان بإبلاغه نبأ وفاة والده ، ثم تقدم في الحال بجيشه نحو لاهور ، واستطاع أن يهزم شيريار ، وأن يقبض عليه ، ويسجنه ، بعد أن سمل عينه .

ضریح بیجاپور — لاہور



وفي فبراير سنة ١٦٢٨ وصل شاه جهان إلى لاهور وتولى عرش الإمبراطورية ،
ولقب بلقب شهاب الدين محمد شاه جهان .

أما الإمبراطورة القديرة نورجهان فقد انسحبت في صمت بعد هذه
الصدامات العنيفة ، وعاشت في عزلة لا يؤنس وحدتها في أيامها الأخيرة غير
ابنتها أرملة شهربار ، إلى أن أدركها الموت في سنة ١٦٤٥ . وقد كان
شاه جهان باراً بها ، فأكرمها ، وعاملها باحترام وتبجلة ، ورتب لها
راتباً سنوياً .

الفصل التاسع

شهاب الدين محمد

شاه جهان

(١٦٢٨ - ١٦٥٨)

ولى شاه جهان العرش فى فبراير سنة ١٦٢٨ ، فخطب باسمه على منابر المساجد فى جميع أنحاء الهند ، وضرب اسمه على سكة جديدة ، وسحب من الاسواق العملة التى كانت تحمل اسم نور جهان .

وقد بدأ شاه جهان حكمه ببعض الإصلاحات الدينية ، فقد كان المجتمع الإسلامى فى الهند لا يزال ساخطاً على الإجراءات التى أحدثها د أكبر ، واتى كانت لا تزال متبعة فى عهد جهانگیر ، وكان رجال الدين يرون أن هذه الإجراءات تدخل فى باب البدع التى تفسد الدين ويطالبون بتغييرها ، فاستجاب شاه جهان لهذه الرغبات ، وكان مما ألغاه السجود للإمبراطور ، وأمر أن يحل محله « الزامينبوس » Zaminbos أى تقييل الأرض بين يدى الإمبراطور ، على أن يعنى من هذه التحية أيضاً الإشراف والشيخو و علماء الدين .

وكان رجال الدين يعتبرون السنة الشمسية بدعة ، فأمر شاه جهان بإلغاء استعمالها ، وأن تتبع السنة الهجرية القمرية فى دوائر الحكومة .

وقد أحدث شاه جهان كثيراً من الإصلاحات الإدارية الأخرى ، وأطلق على مدينة أجرا اسم د أكبر آباد ، أى مدينة أكبر ، وأجرى العطاء لكل الموظفين الذين وقفوا إلى جانبه أثناء نضاله فى سبيل العرش ، وخاصة آصاف خان والد

زوجته الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى إفساد خطط شقيقه نورجهان والتمهيد لتوليته عرش الإمبراطورية .

• وفى السنوات الأولى من حكمه قامت بعض الثورات وخاصة فى إقليم الدكن قبذل جهداً كبيراً لإخضاعها .

وفى السنوات ١٦٣٠ - ١٦٣٢ حدثت مجاعة خطيرة ، واح ضحيتهما عدد كثير من الهنود ، واضطر الفقراء إلى أكل لحوم الحيوانات . وقد تبرع شاه جهان بالاموال الطائلة ليخفف عن شعبه وطأة الجوع .

شاه بهرام والبرتغاليون :

كان أكبر وجهانجير قد شملا البرتغاليين برعايتهم . وفى رحاب هذه الرعاية استقروا فى دهوجلى Hugli ، وعملوا على تنمية ثرواتهم ، فبنوا عدداً من المحلات ، وأقاموا حولها الحصون لحمايتهم والدفاع عنها .

ولكن شاه جهان بدأ يدرك خطورة هذا العنصر الأوروبى ، وظل يتربص الفرصة السانحة لتأديبهم وإيقاعهم عند حدهم . وقد سنحت هذه الفرصة فى سنة ١٦٣٢ ، فقد لاحظ شاه جهان أن البرتغاليين بعد استيلائهم على القرى التى تقع على ضفتى نهر هوجل بدأوا يستبدون بالاهلين هناك ويتحكمون فى مقاديرهم ، كما لاحظ أنهم بدأوا يستغلون الامتيازات التى منحهم إياها الأباطرة السابقون استغلالاً سيئاً ، ففرضوا على الأهالى ضرائب خاصة كانوا يجمعونها ويستعملونها فى مصالحهم الخاصة ، وكان لهذا آثار سيئة فى إيرادات الدولة .

كذلك كان البرتغاليون يمارسون تجارة الرقيق ، ويستعملون فى تجارتهم هذه مختلف أساليب العنف والقسوة ، وكثيراً ما كانوا يخطفون الأطفال الأيتام من الهنود والمسلمين على السواء ويصدرونهم إلى الدول الخارجية .



شاه جهان

وكان القسس ورجال الدين من البرتغاليين يشيرون الكره في نفوس الاهلين
بتعصبهم الشديد المقيت . فقد كانوا يبذلون الجهود لتعسير الهنود بالعنف والقوة ،
ومع هذا لم يلاقوا إلا نجاحاً ضئيلاً .

وقد أثار البرتغاليون غضب الإمبراطورة ممتاز محل باعتقالهم جاريتين من
جوارياها . هذه التصرفات الوقحة أثارت سخط الإمبراطور على البرتغاليين ،
ودفعته إلى العمل على تأديبهم والحد من نفوذهم ، ففي سنة ١٦٣١ أصدر شاه
جهان أمره بتعيين قاسم خان حاكماً على البنغال وعهد إليه بتجسيم مستعمرة
البرتغاليين عند هوجلى .

وبدأ الجيش المغولى بمهاجمة البرتغاليين المستقرين على ضفتى النهر ومحاصرة
قلاعهم . واستمر الحصار ثلاثة أشهر حاول البرتغاليون فى خلالها خداع
الإمبراطور ، فقدموا له مبلغاً ضخماً من المال ، ووعدوا بدفع الجزية ،
ولكنهم كانوا فى نفس الوقت يبذلون الجهد الجهد لإتمام استعداداتهم الحربية
لمقاومة جيش المغول ، فأعدوا فرقة من المدفعية تتكون من سبعة آلاف رام
لمقاولة العدو . ورغم هذا فإن المعركة لم تكند تبدأ حتى انتهت بالقضاء التام على
البرتغاليين ، فأزيلت حصونهم ومخلاتهم تماماً وسويت بالأرض ، أما جيشهم
وكان يتكون من عشرة آلاف فقد قضى عليه جميعاً ، إما بالقتل أو بالغرق فى
النهر كما قتل من جيش الإمبراطور نحو ألف جندى . وهكذا انتهت المعركة
بالقضاء على البرتغاليين ونفوذهم . وبتحرير نحو عشرة آلاف هندى كانوا
فى أسرهم .

الإمبراطورة ممتاز محل :

أرجومند بانو Arjumand Banu Begum أو ممتاز محل ، صاحبة



ممتاز محل

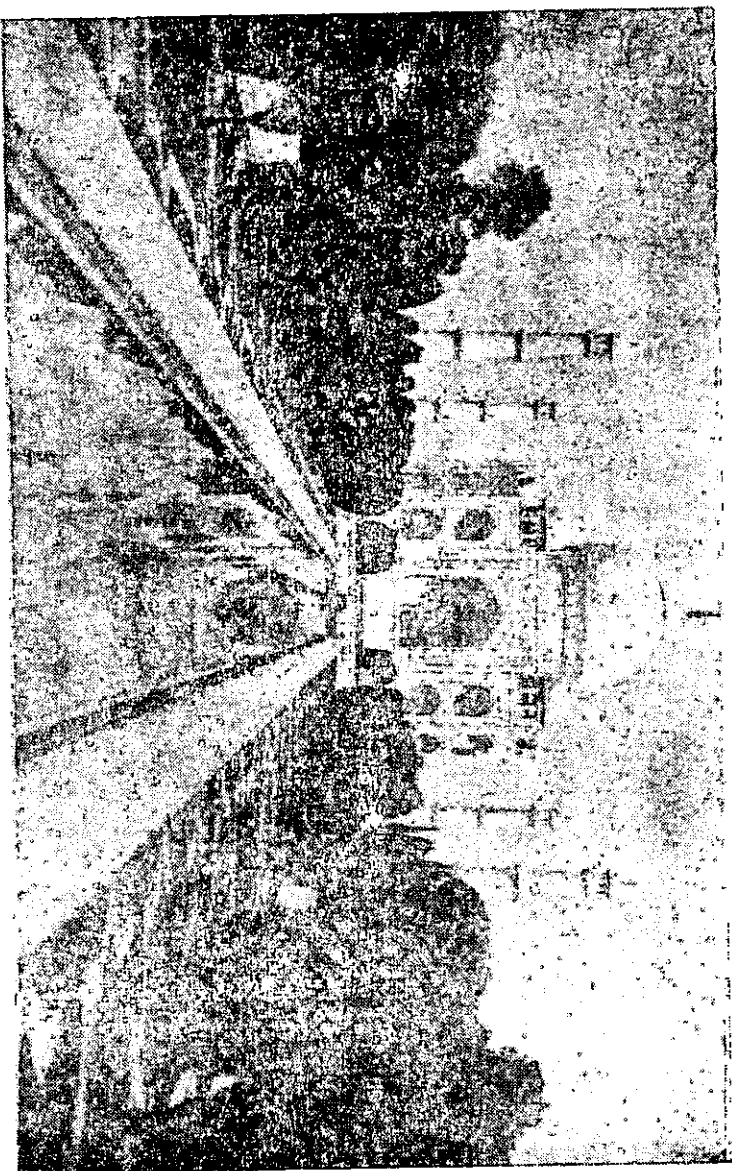
التاج ، وإمبراطورة الهند ؛ كانت امرأة رائعة الجمال ثاقبة الفكر ، أخذت الحسن والجمال عن عمته نورجهان ، وأخذت الذكاء والمواهب الفكرية من أبيها آصف خان .

ولدت في سنة ١٥٩٤ ، وفي سنة ١٦١٢ زوجت من الأمير خرم ، ومنذ اللحظة الأولى استطاعت ممتاز أن تأسر لب زوجها . بجمالها وسلامة تفكيرها ، فأحبها حباً لم يحبه زوج لزوجته من قبل ، وبإدلتها هي حباً بحب وتقديراً بتقدير ، فكانت له نعم الصديق المعين وخاصة في محنة عندما غضب عليه أبوه في أخريات أيامه . واضطر أن يضرب في الأرض شارباً لا مأوى له .

ولما ولي شاه جهان العرش ، منحها لقب « ملكة الزمان » وزاد في مخصصاتها وإقطاعاتها ، وكان يسألها الرأي والنصيحة في كل أمر من أمور الحكم فلم يكن يبرم أمراً دون استشارتها ، كما عهد إليها بحفظ الخاتم الملكي ، وظل في حفظها إلى أن أشارت بأن يعهد به إلى أبيها .

وقد أنجبت هذه السيدة زوجها أربعة عشر طفلاً ، وظلت هي حبها ووفائها له إلى أن توفيت في برهانپور في سنة ١٦٣٠ في السادسة والثلاثين من عمرها عقب ولادة عسرة ، وقد حملت جثتها إلى أكبر آباد ثم دفنت بعد ذلك في القبر الخاص الذي بناه لها زوجها في مدينة أجرا ، والذي يعتبر حتى اليوم إحدى عجائب العالم بجماله وروحه وهو التاج محل .

لقد كانت ممتاز محل أفضل نساء عصرها وأكرمهن ، تعطف على الفقير وتغيث الملهوف ، ويروى المؤرخين أنها كثيراً ما شفعت للمجرمين الذين فقدوا الأمل في الحياة حتى عفا عنهم الإمبراطور ، وكان بابها مقصود كل محتاج ، وكانت تهب منحاً يومية من حر مالها للنساء الفقيرات ، كما كانت دائمة العطف على اليتامى والأرامل ، وكانت تسمى لتأهيل الفتيات الفقيرات وتدفع لهن صداقهن .



تاج محل — اجرا

بهذه الأخلاق النبيلة ، وبهذه العواطف الإنسانية الحساسة استطاعت ممتاز
عمل أن تكسب محبة زوجها وتقدير شعبها ، ولهذا لم يكن غريباً أن يسند
شاه جهان كل هذه الجهود وكل هذه الأموال لبناء التاج محل ليكون مثوى
زوجته ، ورمزا للحب والإخلاص ، وآية من آيات الجمال الخالدة .

سياسة شاه جهان في إقليم الدكن :

كانت السلطات الشيعية في الدكن تعتبر دائماً قذرى في أعين أباطرة المغول ،
ولهذا رأينا الإمبراطور أكبر يركز جهوده الحربية في المدة بين سنتي ١٦٠٠
و ١٦٠٥ لغزو إقليم الدكن ، وقد استطاع أن يضم إليه مملكة خاندش ، وشطرا
كبيراً من إمارة أحمد نجر ، وكان يطمح بعد هذا أن يضم إليه كانداهار الهند ،
ولكنه مات قبل أن يستطيع تحقيق هذا الحلم .

وقد نهج جهانجير نهج أبيه ، واتباع سياسته ، ولكنه وجد في ملك أمير
عدوا صلباً قوياً ، ولهذا لم تلاق سياسته في الدكن أى نجاح . ثم أتى شاه جهان
فاندفع لاتمام سياسة أبيه وجده التقليدية في حماس شديد ، فقد كانت العوامل
السياسية وحدها هي التي تحرك أكبر وجهانجير ، أما شاه جهان فقد كانت تدفعه
حماسته الدينية المعادية للسلطنات الشيعية إلى جانب العوامل السياسية .

وقد أصاب شاه جهان نجاحاً لم يصبه أبوه وجده ، ويرجع هذا إلى أسباب
كثيرة منها :

- أنه كان خبيراً بأحوال الدكن صغيرها وكبيرها .
- نشأت جماعة خطيرة في الإقليم يسرت له سبل الفتح .
- كان العدو الأكبر ملك أمير قد توفى ، وبذلك لم تقم في الدكن بعده
معارضة أو دفاع يذكر .

تاج عل - اجرا



واستطاع شاه جهان بعد حروب كثيرة وجهود مضية أن يضم إلى ملكه إمارات أو سلطنات ثلاث كبرى وهى : أحمد نجر ، وبيجاپور ، وجولكندا ، وبذلك خضع الدكن لملك المغول ، وعين شاه جهان ابنه الثالث أورنجزيب - ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره - حاكماً عليه .

سياسة شاه جهان في أواسط آسيا :

بدأ شاه جهان يتجه بنظره بعد هذا إلى أواسط آسيا ، يريد أن يستعيد ملك المغول القديم هناك ، وخاصة بلخ وبدخشان ، وبدأ بمهاجمة قندهار لأهميتها التجارية والحربية ، ونجحت جيوشه أول الأمر في الاستيلاء عليها ، ولكن ملك فارس لم يلبث أن استردها بعد نضال طويل أثبت تفوق الجيوش الفارسية على جيوش المغول في فن الحرب .

وتقدمت جيوش شاه جهان بعد ذلك نحو بلخ ، ودارت معارك كثيرة ظلت نحو ثلاث سنوات ، انتهت أيضاً بفشل المغول في الاستيلاء على إقليمى بلخ وبدخشان . وكان لهذا الفشل آثار خطيرة ، فقد أثار أطماع الفرس ، وبدأوا يتطلعون بأنظارهم منذ هذه اللحظة نحو بلاد الهند تداعبهم الآمال في الاستيلاء عليها .

الأمير أورنجزيب هاكم الدكن :

في سنة ١٦٣٦ عين أورنجزيب نائباً للإمبراطور وحاكماً على كل الممتلكات الجنوبية ، وظل إلى حكمها لمدة ثماني سنوات حيث اعترضته صعوبات كثيرة ولكنه قابلها بشجاعة وإرادة قوية ، واستطاع أن يدخل كثيراً من التعديلات على نظم الحكم وأن يضم بعض الأجزاء الجديدة إلى ملك المغول .

ولهذا كان من الغريب أن يكافأ أورنجزيب على كل هذه الجهود بعزله في سنة ١٦٤٤ . ولم يكن هناك من سبب إلا انحياز الإمبراطور إلى ابنه الأكبر دارا .

وبعد وقت وجيز ، عفا شاه جهان عن ابنه أورنجزيب وعينه حاكما على جوجرات ، وبعد سنتين عهد إليه بقيادة الجيش المغولي في بلخ .

وقد استطاع أورنجزيب بشجاعته ومواهبه الفائقة أن يتغلب على صعوبات هذه الحرب ، وأبدى مهارة واضحة في المفاوضات التي انتهت بعقد صلح معقول ، وبذلك ارتفعت مكانته عند الجيش المغولي كقائد شجاع وكسياسي محكم .

ولاية أورنجزيب الثانية على الركن (١٦٥٢-١٦٥٨) :

وفي سنة ١٦٥٢ عين أورنجزيب حاكما على الدكن للمرة الثانية ، وظل يشغل هذا المنصب إلى سنة ١٦٥٨ . وقد وجد الأحوال هناك عند تعيينه سيئة غاية السوء ، فالفلاحون وأصحاب الإقطاعات ساخطون غير راضين ، وأصبح تحصيل أموال الحكومة أمرا عسيرا ، وكانت الإدارة الحكومية تواجه أزمة مالية خطيرة .

كانت هذه الحالة تقلق شاه جهان ، ولهذا طلب من ابنه أورنجزيب أن يتخذ خطوات حاسمة لإصلاح الإدارة ، واستجاب الابن للطلب ، وأحدث تغييرات إصلاحية أساسية في مختلف الإدارات وعنى عناية خاصة بشؤون الزراعة والفلاحين وبالجيش ، بحيث لم يمض غير وقت قصير حتى بدأت الأحوال في إقليم الدكن تتحسن بشكل واضح .

وعلى الرغم من هذه الجهود فإن أورنجزيب لم يستطيع أن ينال رضا أبيه ، ويرجع هذا إلى أن الأمير دارا ومن معه من رجال البلاط كانوا قد نجحوا في إثارة الضغينة في نفس شاه جهان على ابنه أورنجزيب بحيث أصبح من العسير أن يوليه الثقة من جديد .

الصراع حول العرش :

كان لشاه جهان أولاد أربعة : دارا ، وشجاع ، وأورنجزيب، ومراد . وعندما أصيب بالمرض في أواخر سنة ١٦٥٧ كان دارا في العاصمة ، وكان أورنجزيب في الدكن ، وأما مراد فقد كان في جوجرات .

وقد سارع شاه جهان فدعا رجال القصر وأعلن ابنه الأكبر الأثير إلى نفسه دارا واما للعهد . وقد بذل دارا كل جهد ممكن ليمنع تسرب الاختبار من البلاط إلى الخارج .

وكان كل أمير من الأمراء الثلاثة الآخرين تحت قيادته جيش معد ، وفي نفسه طموح لتولى العرش ، فقد كان كل منهم يعتقد أنه إذا لم ينجح في الاستيلاء على الحكم فإن نصيبه الموت سجننا أو شنقا .

وبينما كان دارا يعمل على تقوية مركزه في العاصمة ، كان شجاع ومراد قد توجعا نفسيهما كل في الإقليم الذي يحكمه . أما أورنجزيب فقد التزم الهدوء على أن يبادر إلى الحركة في الوقت المناسب .

وكان شجاع أول من تحرك ، فقد وصل بنارس في ٢٤ يناير ، فأرسل إليه دارا جيشا ضخما بقيادة ابنه سليمان شو كوه ، وهزم شجاع ، وتراجع إلى مقر حكمه في البنغال .

وكان مراد قد أعد كذلك جيشا كبيراً ، وتحالف مع أخيه أورنجزيب وتقدما معا نحو الشمال . وهلم دارا بتحريك الأخوين فأسرع بإرسال جيش مضاد لإيقاف تقدمهما . وتقابل الجيشان في دارمات Dharmat بالقرب من أوجين Ujjain (أبريل سنة ١٦٥٨) وهزم جيش دارا ، وانتصر الأخوان ، فاضطر دارا أن يخرج إلى القتال بنفسه . وقامت بين الفريقين معركة خطيرة عند سموجره .

Samugarh (مايو ١٦٥٨) . وفي أثناء المعركة أصيب فيل دارا بجرح خطير فاستبدل به حصاناً ، ولكن جنوده لم يفتنوا إلى هذه الحركة ، فلما نظروا إلى الهودج ووجدوه خالياً أيقنوا أن قائدهم قد أصيب ، فتخاذلوا وأسرعوا بالفرار ، وكان سبب هذا الهزيمة ، ودخل أورنجزيب أجرا وكتب إلى والده التماساً حاول أن يبرر فيه فعلته وأن يدافع عن مركزه .

وعلم أورنجزيب أن أخاه مراد يدبر مؤامرة ضده ، فقبض عليه وسجنه في جوالبور ، ثم حوكم ، وحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم .

أما شجاع فقد حاول بعد هزيمته أن يكون جيشاً كبيراً وأن يسعى للحصول على العرش ، ولكن أورنجزيب هزمه وظل يطارده من مكان إلى مكان إلى أن قتل في سنة ١٦٦٠ .

وكان دارا قد استولى على الخزانة في دلهي ولاهور ، ولكن أورنجزيب خرج لمقاتلته ، فاضطر أن يفر إلى السند ثم إلى أحمد آباد ، حيث حاول أن يكون جيشاً جديداً . ولما علم بأن أخاه شجاعاً يتقدم لمهاجمة أورنجزيب ، تقدم هو أيضاً إلى أجرا ، ولكن أورنجزيب استطاع أن يهزم الأخوين الواحد بعد الآخر ، ففر دارا إلى أحمد آباد حيث حوصر ثم قتل .

وسمح شاه جهان أن يعيش في قلعة أجرا ، فبقى بها معزولاً مكرماً ، ولكن لا يسمح له البتة بمخادرة القلعة إلى أن مات في سنة ١٦٦٦ . ونحن إذا استثنينا بعض الثورات والجماعة الخطيرة وحروب الدكن المتصلة ، نستطيع أن نقول إن عهد شاه جهان كان عهد ازدهار وتقدم في مختلف النواحي المادية والحضارية . وكان شاه جهان نفسه رجلاً عظوماً رقيق القلب متديناً ، كما كان قائداً قديراً وإدارياً حازماً . وفي عهده بلغت العمارة الإسلامية أوج رقيها وعظمتها ، ويمكن أن نقول إن تاج محل بنى في أيامه .

الفصل العاشر

محي الدين محمد أورنجيز

عالم جدير

(١٠٢٧ - ١١١٨ هـ = ١٦١٨ - ١٧٠٧ م)

كان أورنجيز الإبن الثالث لشاه جهان وممتاز محل ، وقد ولد في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٠٢٧ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٦١٨) وعرف منذ طفولته بالشجاعة الفائقة والجرأة ، وأبرز حادث يذكره المؤرخون للدلالة على بسالته صراعه مع فيل ثائر ؛ تقول الرواية : « إن أباه كان يشهد في أحد أيام شهر مايو من سنة ١٦٣٣ مصارعة بين فيلين ، وأثناء المصارعة استدار أحد الفيلين وهاجم الطفل أورنجيز ، وكان وقتذاك في الرابعة عشرة من عمره ، ولم يزع أورنجيز كما ريع المتفرجون الآخرون ، بل ثبت في مكانه ومنع حصانه من التراجع ، وضرب الفيل في جبهته بحربة ، وأثارت الضربة الفيل الثائر فعاود الهجوم ، فتقدم الأمير شجاع وآخرون لمساعدة أورنجيز ، ورغم هذا فقد نجح الفيل في طرحه أرضاً بعد أن ضرب حصانه بخراطومه . ولكن أورنجيز انتفض واقفاً وهاجم الفيل بسيفه واضطره إلى الفرار . هذه الشجاعة الفائقة أثارت إعجاب الحضور جميعاً ، وتقدم أبوه شاه جهان فعانقه معلناً حبه له وإعجابه به .

ولايته للعرش :

ولى أورنجيز العرش في الثاني والعشرين من يوليو سنة ١٦٥٨ بعد أن تغلب على منافسيه وأزاحهم من طريقه ، وخطب له على المنابر ، وضربت



اورنجزیب

السكة باسمه ، ولقب نفسه « بالغازى بادشاه أبو المظفر محيى الدين محمد أورنجزيب بهادر عالم جير » .

(أورنج = هرش ، وزيب = زينة ، فاسم أورنجزيب معناه زينة العرش ، وجير معناها سيد أو حاكم ، فكأن عالم جير معناها سيد العالم) .

ولكنه لم يحتفل بتوليته العرش إلا بعد مضى سنة تقريباً ، ففي الخامس من يونيو سنة ١٦٥٩ أقيمت الاحتفالات والأعياد التى استمرت شهرين كاملين ، وبذلت الجهود لإدخال السرور على قلوب طبقات الشعب جميعاً ، وأقبل السفراء من مختلف البلاد الإسلامية لتقديم التهنئة ، فقوبلوا بكل ترحاب ، وخلعت عليهم الخلع ، وقدمت لهم الهدايا والعطايا ، كما أرسلت حكومتا هواندا وفرنسا ممثلهما للمشاركة فى هذه الاحتفالات وتقديم فروض التهنئة ، فلقيا من حكومة أورنجزيب مثل ما اتى زملاؤهما من سفراء الدول الإسلامية .

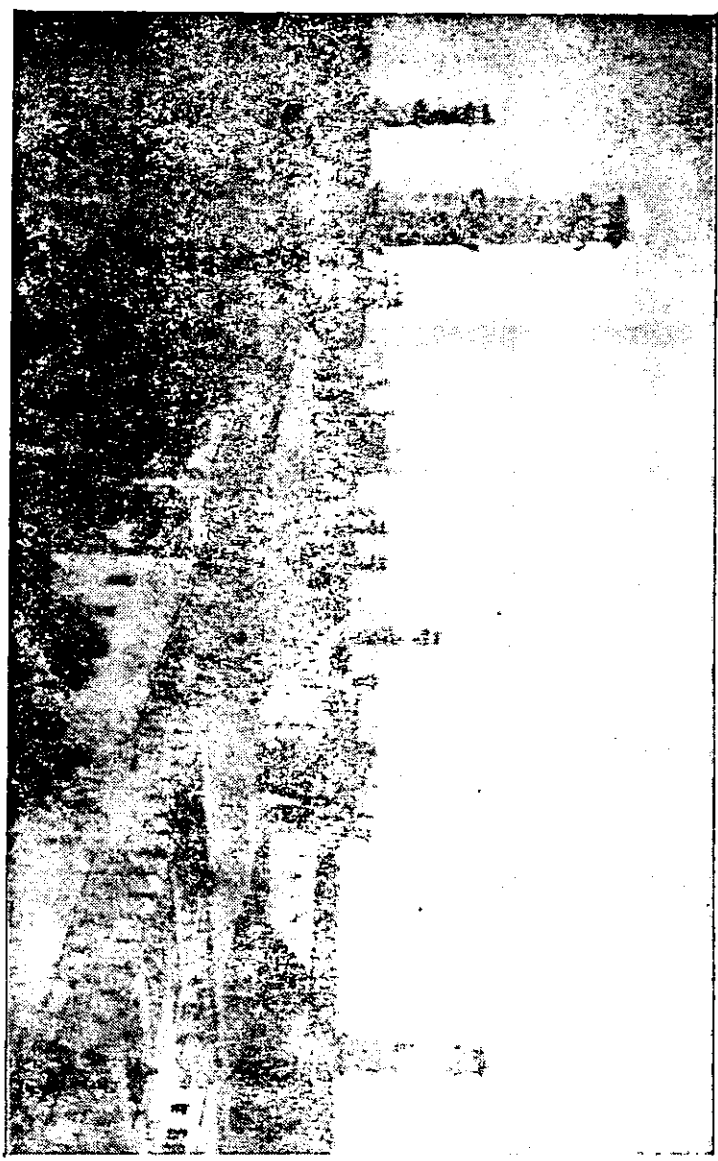
أعماله الأولى :

ويعتبر عهد أورنجزيب الذى طال حتى قارب النصف قرن من أهم عهود التاريخ الهندى ، ففيه وصلت الإمبراطورية المغراية إلى أقصى اتساعها ، وإلى ذروة قوتها وبجدها .

وقد رسم أورنجزيب خطة جديدة فى الحكم والسياسة ، فعمل بعد الحكم مباشرة على التخلص من التيارات غير الإسلامية التى كانت قد اتخذت طريقها إلى القصر الإمبراطورى ، وتسربت إلى نفوس الشعب .

وبدأ أورنجزيب بإعادة فرض ضريبة الجزية على غير المسلمين ، وقد أساء الكتاب الأوربيون المحدثون الذين كتبوا عن أورنجزيب فهم هذا الإجراء . وليبان حقيقة الدوافع التى دفعته إلى إعادة فرض هذه الضريبة تقول إن الجزية

مسجد بادشاہ
 بنام الامیر اطوار اور عزیز
 ج ۳۸۱ / ۱۶۷۲ء مورخہ ۱۶۷۴ء
 فی مدینہ منورہ



ضريبة كانت تفرض على القادرين من أهل الذمة في كل دولة إسلامية مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية ، وقد كان الإمبراطور «أكبر» ألغى هذه الضريبة لأنه أخضع جميع المواطنين للتجنيد الإجبارى بصرف النظر عن دياناتهم .

أما أورنجزيب فقد اعتبر هذا الإجراء مخالفاً للإسلام الذى لا يسمح بفرض الخدمة العسكرية على غير المسلمين بالقوة أو رغم إرادتهم ، ولهذا أعاد أورنجزيب فرض الجزية كما كانت . ومع هذا فقد كانت هذه الضريبة ضئيلة القيمة محددة التطبيق ، فكان يعفى منها موظفو الدولة ، وكل النساء والأطفال وكل العاجزين عن الكسب وكل الفلاحين ومن يقل دخلهم السنوى عن ٥٠ روبية .

ولاحظ أورنجزيب أن الشعب قد قاسى كثيراً إبان النزاع والخررب التى نشبت فى سبيل ولاية العرش ، فقد فرضت عليه ضرائب ومكوس كثيرة ، ولهذا بدأ حكمه كذلك بإلغاء نحو ثمانية مكسا من المكوس ، كما أمر بتخفيض الضريبة المفروضة على القمح لتخفيض أسعار المأكولات ، وكان أورنجزيب رجلاً متديناً ، ولهذا حاول أن يوائم بين قوانين الدولة والشريعة الإسلامية ولهذا ألغى نظام السنة الشمسية ، واتبع التقويم العربى القمري .

وأوقف الاحتفال بالنيروز باعتباره عادة فارسية ، وأمر بترميم المساجد وتعمير الخانات ، وعين الأئمة والمؤذنين ، وخصص لهم رواتب ثابتة ، وأصدر الأوامر المشددة للمحتسبين ليأخذوا الناس بالشدة ويلزمهم باتباع أوامر الشرع .

مرض أورنجزيب ومحاولة عزله

وفى سنة ١٦٦٤ - بعد الاحتفال بالعيد الخامس لتولى أورنجزيب العرش -

أصيب بمرض شديد ، وأوشك هذا المرض أن يهز عرش الإمبراطورية .
فقد انتهز أعدوان الملك المعزول شاه جهان الفرصة وبدأوا يدبرون المؤامرات
لإطلاق سراحه وإعادةه إلى العرش ، ولكن الخلف لم يلبث أن وقع بينهم ،
وانقسموا فريقين : فريق أراد أن يولى « المعظم » - الابن الثانى لأورنجزيب -
العرش ، وفريق أراد أن يختار الابن الثالث « أكبر » .

غير أن أورنجزيب تحامل على نفسه فى اليوم الخامس من مرضه ، واستقبل
عددًا من كبار ضباطه جاءوا ليقدموا له فروض الطاعة ، وأصدر أمراً إلى أخته
البيجوم روش أرا التعميد لإييه الخاتم الأعظم - خاتم الملك - الذى كان قد عهد
لإيها بحفظه ، وأبقاه معه منذ ذلك الحين حتى لا يمكن استعماله بغير إذنه .
وبذلك استطاع أورنجزيب أن يتجاشى هذا الخطر مستعيناً بحضور بديته وقوة
إرادته . ولم يكده يشعر بشيء من التحسن حتى انتقل إلى كشمير ليقضى هناك
أيام القاهة ، وقد صحبه فى هذه الرحلة الكاتب الفرنسى « برنييه Bernier »
الذى ترك لنا فيما بعد وصفاً شائقاً لوادى كشمير وانتقالات الإمبراطور
أورنجزيب أثناء هذه الرحلة .

فتح أسام :

إبان الحروب التى نشبت فى أواخر عهد شاه جهان فى سبيل تولى العرش ،
نقدم واجات كوش بهار Cooch-Baher وأسام من الغرب والشرق نحو أراضى
الدولة المغولية ، وأعملوا فيها معاول النهب والتخريب .

ولهذا لم يكده أورنجزيب يلى العرش ، حتى أصدر أمره بتعيين الأمير
جملة Mir Jumlah حاكماً على إقليم البنغال ، وفوض إليه أمر تأديب هؤلاء
الراجات الخارجين .

وفي نوفمبر سنة ١٦٦١ غادر الأمير د جملة ، دكا Decca وسار نحو موش بهار وفتحها بعد مقاومة ضئيلة ؛ وفي يوليو من سنة ١٦٦٢ سار نحو أسام . ومع أن جنده تحملوا مصابا كثيرة عند اجتيازهم الطريق المليئة بالأحراش فقد استطاع د جملة ، أن يقتحم أراضي الأعداء وأن يطاردهم على طول نهر البراهما بترا ، وأن يستولى على الكثير من قلاعهم ؛ كما اشتبك مع أسطولهم في معركة بحرية حاسمة انتهت بتحطيم هذا الأسطول والاستيلاء على العاصمة . واضطر الراجا أن يطلب الأمان ، فأجيب إلى طلبه بشرط أن يتنازل عن جزء من أملاكه ، وأن يدفع غرامة حربية .

وهكذا استطاع الأمير د جملة ، أن يحرز - بعقريته الحربية الفذة - هذه الانتصارات الرائعة في أسام ، ولكنه لم يستطع - لكبر سنه - أن يتحمل كل هذه المشاق ، فتأثرت صحته ، وتوفي في أبريل سنة ١٦٦٣ وهو في طريق عودته إلى دكا .

تأديب القراصنة البرتغاليين :

وخلف الأمير د جملة ، في القيادة شايستاه خان Shaistah Khan ، فعهد إليه أمر تأديب القراصنة من البرتغاليين في شيتا جونج Chitagong . وقد وصف الرحالة والكاظم الفرنسي « برنييه » - الذي كان يقيم في بلاط أورنجيزب وقتذاك - هؤلاء البرتغاليين بقوله : « لقد كانوا مسيحيين بالإسم فقط ، كما كانوا يقيمون أشنع وأكبر حياه يحياها أنسان ، ، ولم يبعد برنييه عن الحقيقة حين وصفهم هذا الوصف ، فقد كان دأبهم أن يخطفوا الرجال غير المسلمين ويبيعوهم بيسع الرقيق .

عمل شايستاه خان على تقوية أسطوله ، ثم شن غارة قوية على هؤلاء التجار

الأشهر ، فأنزل بهم هزيمة شنعاء ، واستولى على أكثر من مائه قارب من قواربهم ، واستعاد مدينة شيئا جونج ، وأسماها « إسلام آباد » ، وأطلق سراح آلاف من الأسرى المساكين الذين كانوا في حوزة هؤلاء القراصنة البرتغاليين .

أورنجيزب والمراتھا : Marathas

والمراتھا جنس من أجناس الهند كانوا يسكنون الإقليم المحيط بمدينة بومباي ، وقد عرفوا - كما عرف جيرانهم الراجبوت - بالقوة وشدة البأس . وفي عهد أورنجيزب قوى سلطانهم وأصبحوا خطرا يهدد الدولة المغولية ، وفيما يلي موجزاً لحركاتهم وموقف الدولة منهم .

كان من بين القواد البارزين في سلطنة أحمد نجر قائد اسمه شاهجي وهو والد زعيم المراتھا الكبير شيفاجي . وقد انتقل شاهجي فيما بعد إلى خدمة بيجابور ومنح هناك إقطاعاً كبيراً ، وقد أغرم بحب فتاة صغيرة فأعرض عن زوجه القديمة وابنها شيفاجي ، ولهذا فقد نشأ شيفاجي متنقلاً في الجبال المحيطة ولم يتلق أى تعليم ، ولم تصقله الثقافة أو تهذيب التربية ، وإنما نما وفي خلقه شيء كبير من قسوة سكان الجبال وخشوتهم . وسرعان ما جذب إليه عدداً من رفاقه وكون منهم عصابة منظمة من الشطار وقطاع الطريق ، وأخذوا يعملون على تهديد نظام الحكم القائم وزعزعة أركانه .

وكانت سلطنة بيجابور تسير في عهد محمد عادل شاه سيرا حثيثاً نحو الضعف والانحلال ، فاتهز شيفاجي الفرصة السانحة وأخذ يعمل على تنمية قواه الحربية والمادية ، ولم يعمد في سبيل تحقيق هدفه هذا إلى الحرب السافرة ، وإنما كان سلاحه الخيانة والقتل والغدر .

وفي سنة ١٦٥٧ وبينما أورنجيزب يعد جيوشه لمحاربة بيجابور ، تقدم

شيفاجى وعرض خدماته على المغول، وقبل الشروط التى فرضوها عليه ، ولكن القتال لم يكبد يشتد فى بيجابور حتى انتهز شيفاجى الفرصة ، ونقض العهد الذى أعطاه للمغول وهاجم ممتلكات الإمبراطور ، وأراد أورنجزيب أن يعاقبه جزاء خيائته ، ولكنه أسرع وتقدم يطلب العفو ويعلن خضوعه وولاءه .

وفى سنة ١٦٦٤ عاد شيفاجى وهاجم إقليم سورات Surat وعامل أهله معاملة كلها قسوة وعذف ، وقد وصف كاتب إنجليزى كان شاهد عيان لهذه الأحداث قسوة شيفاجى بقوله :

« كانت رغبته فى المال شديدة ، ولم يكن يتورع عن استعمال كل صنوف القسوة والوحشية فى سبيل إشباع هذه الرغبة ، وإجبار أسراه على الاعتراف بما لديهم من أموال ، فكان يضربهم بالسياط ضربا مبرحا ، ويهدم بالقتل ، بل طالما كان يقدم على تنفيذ هذا الوعيد بالقتل إذا لم يقدموا له المبالغ التى يحسب أنهم يملكونها أو التى يطمع فى أن يقدموها إليه ، فكان أحيانا يقطع يد الأسير ، وفى أحيان أخرى يقطع اليدين جميعا .

وكان من الطبيعى أن لا تغفر الدولة له هذه الأعمال ، فأعدت حملة لتأديب هؤلاء اللصوص من المراتها ، وخلال أشهر قليلة بدأت قلاعهم تسقط فى أيدي المغول الواحدة بعد الأخرى ، واضطر شيفاجى أن يأتى بنفسه إلى قائد هذه الحملة ويسأله العفو ، وأجابه القائد إلى طلبه بشروط ، منها أن يقوم بتسليم ثلاث وعشرين قلعة من قلاعه التى يبلغ عددها خمسا وعشرين ، وأن يأخذ ابنه شامبهاجى رهينة هندية ، وأن يسمح له بالعودة إلى إقطاعه ، على أن يلي نداء الدولة كلما احتاجت إلى خدماته .

ومع هذا فلم تكف تمضى ثلاث سنوات حتى عاد شيفاجى إلى سابق عهده وهاجم

إقليم سورات للمرة الثانية في سنة ١٦٧٠ ، وفي سنة ١٦٧٤ لقب نفسه بلقب راجا .
وفي سنة ١٦٨٠ توفي شيفاجي ، وقد حاول بعض الكتاب المتأخرين أن
يصوروه في صورة بطل قومي حاول أن يخلص الهنود من حكم المغول ، ولكنهم
لم يكونوا على حق في هذا ، فقد بدأ شيفاجي حياته ناطح طريق ، ثم استطاع -
نتيجة الفوضى التي كانت تضرب أطنابها في بيجابور وقتذاك - أن يستولى على
عدد من القلاع الجبلية والأراضي المحيطة بها ، ثم تمت أطماعه بنمو قوته الحربية
والمالية ، فكان يقوم في كل سنة بغارات جديدة لمهاجمة الأهلالي الأمنين ، وكان
سلاحه الدائم في هذه الغارات لا يعدو القتل والخيانة والاحتلال .

هولكندرا :

كانت الأحوال في إقليم الدكن - منذ غادره أورنجزيب في سنة ١٦٥٨ -
قد بلغت حدا كبيرا من السوء والفساد ، ففي بيجابور وجولكندا اضطربت
الأمر وجعلت غارات المراتها الحياة فيها غير آمنة . لهذا رأى أورنجزيب أن
لابد من غزو هاتين الإمارتين ، وخاصة أنهما كانتا تتآمران دائما مع زعيم المراتها
شاهجى بن شيفاجي وخليفته .

ومنذ ولى أبو الحسن عرش جولكندا وأصبحت سياسة الإمارة العداء
الصريح للدولة المغولية . فقد عقد ماردانا Mardanne الوزير البرهمي لأبي الحسن -
حلفا مع شيفاجي في سنة ١٦٧٧ وتعهد أن يدفع له إتاوه سنوية قدرها للـك (الملك)
يساوى مائه ألف من العملة الهندية) .

واتبعت بيجابور سياسة معادية للمغول ، وبدلا من أن تقدم يد المساعدة
للإمبراطور كانت تعمل في السر على معاونته المراتها .

وكان سلاطين الدكن قد بلغوا كبيرا من الضعف ، ولهذا وجد

أورنجيزب أنه لا مناص من مهاجمتهم ، وبدأت الحرب بشن الغارة على بيجابور .
وأثناء القتال علم أورنجيزب أن حاكم وحكام جولدكندا يأتمرون به ويحاولون
تكوين حلف ثلاثي يجمع بين بيجابور وجولدكندا وشامهاجى ، ولهذا أسرع
فأعلن الحرب على جولدكندا وأمر جيوشه أنتهاجم عاصمتها . ووجد أبوالحسن
نفسه عاجزا عن مقاومة جيوش المغول فاحتفى بقلعة جولدكندا ، وأرسل إلى
أورنجيزب يطلب الأمان ، فأجيب إلى طلبه بشرط أن يدفع غرامة حرية كبيرة .
ومع هذا فإنه لم يحسن الاستفادة من هذا العفو ، فإنه لم يمتنع عن دفع المبلغ
المفروض عليه وحسب ، بل عمل على إثارة الإمبراطور بأن أرسل معونة مالية
إلى شامهاجى .

لم يكن من المنتظر إذن أن يعفو الإمبراطور عن هذه الخيانة ، فأسرع
بالاستيلاء على جولدكندا ، وقبض على أبى الحسن ، وسجن فى قلعة دولت آباد .

بيجابور :

ولم يكن موقف بيجابور يختلف كثيرا عن موقف جولدكندا ، فإن سياسة
الإمارتين فى الحقيقة حيال المغول كانت متشابهة ، فقد طلب أورنجيزب من
سكندر عادل شاه أمير بيجابور أن يتعاون معه للقضاء على نفوذ المراتها ، ومع
هذا فقد تباطأت بيجابور فى تنفيذ هذه السياسة ، وكانت تعمل فى السر على التآمر
مع شهاجى ضد الامبراطور ، ولهذا عزم أورنجيزب على أن يضع حدا لهذا العبث .
ففى سنة ١٦٥٨ صدرت الأوامر إلى الأمير أعظم بالمسير نحو بيجابور ، وتبعه بعد
قليل الإمبراطور نفسه ومعه جيشه . ولم يستطع أهالى بيجابور مقاومة هذا
الجيش الضخم فاستسلموا فى سبتمبر سنة ١٦٨٦ . وقابل أورنجيزب الأمير سكندر
مقابلة طيبة وسمح له بالإقامة فى دولت آباد ، ولكنه استدعى بعد قليل إلى معسكر
الإمبراطور ، وهناك أقام إلى أن توفى فى سنة ١٧٠٠ .

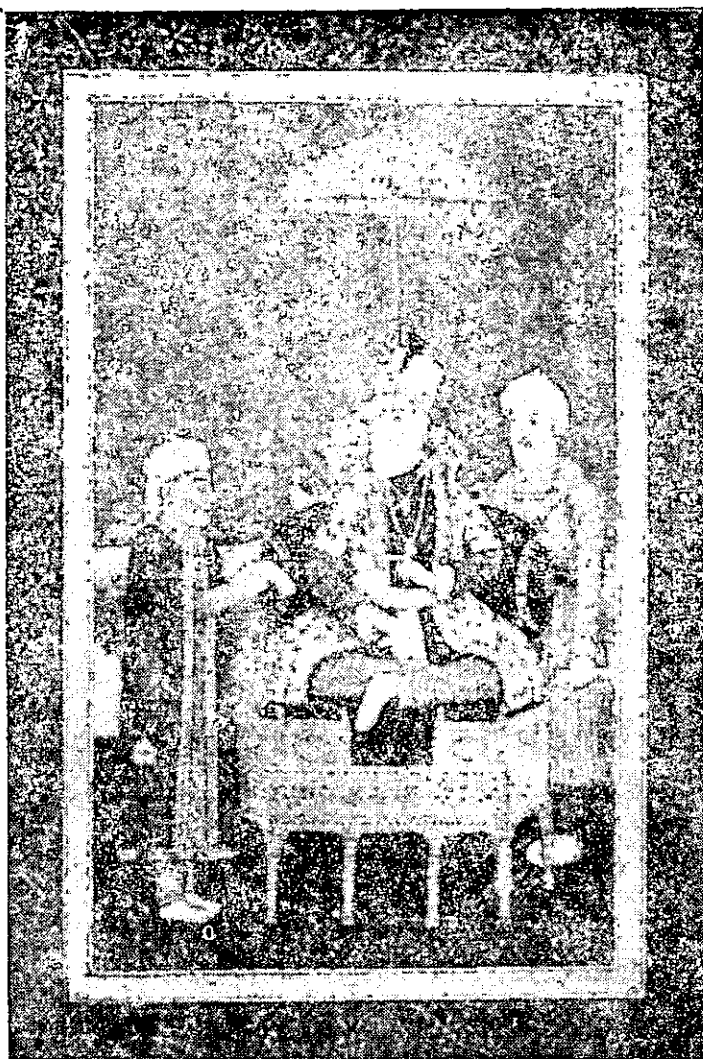
أورنجيزب والامجليز :

في سنة ١٦٨٦ أحرقت الانجليز مدينة هوجلي Hugli وبذلك جلبوا لأنفسهم متاعب كثيرة ، فقد بدأ شايستاه خان يتخذ الإجراءات لمهاجمة هؤلاء الذين يعملون على تهديد الأمن والسلام ، واضطر الإنجليز أمام هذا الضغط أن ينسحبوا من البنغال انسحابا كاملا في فبراير ١٦٨٩ ، وإن كان أورنجيزب قد عفا عنهم في السنة التالية وسمح لمعتدمهم (جوب شارنوك) Job Charnock أن يقيم في المكان الذي أصبح فيما بعد النواة التي تكونت حولها مدينة كالكوتا (سبتمبر ١٧٩٠) .

وشبهه بهذا ما حدث في الشاطئ الغربي ، فإن رئيس شركة الهند الشرقية بمحاqqته كان السبب في حدوث نزاع بين الإنجليز والمغول ، وذلك أنه خرج من سوررات واتجه إلى بومباي حيث استولى على السفن المغولية الراسية هناك . ولم يتوان القواد المغول لحظسة فقبضوا على كل الإنجليز المقيمين في سوررات وأصدروا أوامره إلى واحد منهم بمهاجمة جزيرة بمومباي من البحر ، واستطاع هذا القائد أن ينزل بقواته على أرض الجزيرة وأن يستولى على معظم أجزائها وأن يحاصر الإنجليز في قلاعهم التي اعتصموا بها ، وأخيرا اضطر قائدهم المتهور سيجوزيا تشيلد Sir Josia Child أن يستسلم استسلاما ذائلا مهينا . ومع هذا فإن الإمبراطور أورنجيزب كان كريما كعادته ، فأصدر بعد قليل فرمانا بالعفو عن الإنجليز ، وصدرت أوامره بأن يدفعوا غرامة مالية ، ثم سمح لهم بأن يمارسوا تجارتهم في أراضي الإمبراطورية المغولية .

أورنجيزب ، شخصيته وسياسته :

يقف أورنجيزب وحده من حيث أخلاقه الكريمة وتمسكه بالمثل العليا بين أباطرة المغول الذين حكموا الهند جميعا ، لا يكاد يدانيه واحد منهم ، فقد كان



بہادر شاہ
آخر ابا طرۃ المغول

تقيا ورعا وسطية تنغمس في حياة الترف . وروى عنه أنه ترك حصانه - أثناء المعركة بيدخشان - وذهب ليؤدي فريضة الجمعة ، وأهجب العدو بشجاعته هذه فأوقفوا القتال وانسحبوا .

وكان أورنجزيب إلى هذا ذكيا ، مخلصا في عمله ، قوى الاحساس بواجبه ، نشطا غاية النشاط بحيث كان يشرف بنفسه على كل شؤون الحكم والإدارة في دولته ، كما كان يكره الاستبداد ويحاول جهده أن يحقق العدالة لأصغر صغير من رعاياه . ولم يشتهر أورنجزيب بتدينه وتقواه وورعه وشجاعته وب نشاطه فحسب ، بل عرف كذلك بأنه كان عالما متمكنا وكاتبا قديرا ، فكان على علم وثيق بالفقه والشريعة الإسلامية ، وكان يعجب بصفة خاصة بمؤامرات الإمام الغزالي .

ولم يكن إقبال أورنجزيب على العلوم الدينية يقل عن إقباله على العلوم الأدبية ، فكان على معرفة بلغات أربع هي : العربية ، والفارسية ، والتركية ، والهندية ، ولكنه كتب كثيرا من رسائله باللغة الفارسية ، وبعض الرسائل لا يزال موجودا وتعتبر نموذجا للأسلوب السلس الجميل الخالي من اللغو ، ولم يكن الرحالة الفرنسي برنيه غطئا حين وصفه بقوله : دأقد وهب الأمير أورنجزيب عبقرية نادرة تؤهله لأن يكون رجل دولة ممتازا وملكا عظيما . وقد انتقد بعض الكتاب غير المسلمين أورنجزيب لما ادعوه عليه من تعصب ضد الهندوك ، ولكن الحقائق لا تؤيد هذا النقد ، وقد أوضح هو سياسته في كثير من رسائله حيث أعلن رفضه لاضطهاد موظفيه بسبب دينهم ، ولم يكن لاحد من هؤلاء الموظفين أن يخشى بأسه مادام على ولائه للدولة . حقيقة لقد أمرا أورنجزيب بهدم بعض المعابد الهندوكية ، ولكن الدافع الحقيقي لهذا الأمر يتضح في فرمان الذي أصدره بهذه المناسبة ، ففيه ينص على هدم المعابد التي بنيت بغير إذن رسمي ، ومع هذا فقد نص فيه أيضا على تقديم منح من الأرض لعدد من الهياكل وأماكن العبادة الهندوكية .

ومن الحقيقي أيضا أن أورنجزيب بذل جهودا كبيرة لإصلاح أحوال المسلمين وصنع الدولة بصيغة إسلامية ، ولكن هذه السياسة كانت ضرورية لإنقاذ الدولة مما أصابها من عوامل الضعف والاضطراب ، فإنه من البديهي في علم السياسة أن الدولة تستطيع أن تصارع البقاء إذا نالت التأييد الفعال من الشعب ، أو من جزء من الشعب على أقل تقدير . لقد قامت سياسة أكبر على عدم الانحياز للمسلمين ، ولكن مع هذا لم يفلح تماما في كسب تأييد الهندوك ، حقيقة لقد وضع قليل من أمراء الهند خدماتهم تحت أمر الدولة ، ولكن تيارا من مقاومة الهنود كان سائدا طول الوقت .

وكان يسود بين المسلمين منذ نادى أكبر بدينه الإلهي - تهاون شديد في أمور العقيدة إلى أن قام السيد أحمد الجدي بحركته الإصلاحية . وكان من الواجب العمل على تنشيط المسلمين وأن يعاد إليهم الشعور بالمسؤولية ، ولم يكن هذا ممكناً بغير إعادة الاهتمام بالنظم الإسلامية ، ولهذا اضطر أورنجزيب أن يعيد فرض ضريبة الجزية على غير المسلمين ، أما مقاومته للسيخ والراجبوت فلم يكن الدافع لها دينياً بل سياسياً ، فكما أنه عنف في معاملته للقبائل الإسلامية في شمال غرب الهند ، فإنه لم يستطع كذلك أن يقف مكتوف الأيدي أمام عصيان رعائيه غير المسلمين أو الفوضى التي أشاعها المراتها في إقليم الدكن .

لم يكن أورنجزيب إذن مسئولاً عن ضعف الدولة ومقوّمها ، فإن الإمبراطورية تبعاً لسياسة أكبر لم تعد تعنى أحداً غير الإمبراطور نفسه ، وكان من الطبيعي أن يتعرض بناء كهذا للسقوط عند ما تهب عليه أول عاصفة سياسية ، واقد قدر لهذه العاصفة أن تهب في عهد أورنجزيب ، وقد استطاع بنشاطه الجهم وحيويته الدافقة ودفاعه القوي عن الإسلام أن يؤجل انهيار الدولة ، ولكن من

المؤسف أن تقول إن جهود أورنجزيب الضخمة قد أفسدت في عهود خلفائه .

كان أورنجزيب في طبيعته أقرب ما يكون إلى الشهداء ، فقد ظل طول حياته يصارع من أجل تحقيق أهدافه ، واستعان بإرادته الحديدية على المقاومة ، فلم يدع للمرض أو لكبر السن فرصة للتغلب عليه أو للتحويل بينه وبين أداء رسالته ، ولم يلق السلاح إلا عندما أدرك أن رحلته الطويلة في هذه الحياة قد أوشكت على الانتهاء .

فهرس المراجع

١ - المراجع العربية

- أحمد (حبيب) = بين الهند والباكستان ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- بدايوني (عبد القادر) = منتخب التواريخ ، كلكتا ١٨٦٨ م .
- أمين (أحمد) = زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- خان (صديق حسن) = الحطة في ذكر الصحابة الستة .
- دهلوى (شاه ولي الله) = التفهيمات الإلهية .
- = حجة الله البالغة .
- = رسالة في تحقيق وحدة الوجود .
- = عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد .
- = أنفاس العارفين ، دلهى ١٣٣٥ هـ .
- دهلوى (مولانا عبد الحق محدث) = أخبار الأخيار ، دلهى ١٣٣٢ هـ .
- = طبقات اكبرى (وله ترجمة إنجليزية) ، كلكتا ١٩٣٦ م .

رضا (الشيخ رشيد) .

= تاريخ الامتاز الإمام الشيخ محمد عبده .

سرهندي (السيد أحمد المجددي) .

= آداب المريدين .

= رسالة تهليلية (طبعة ملحقه بمجموعة رسائله - المكتوبات -

طبعة لكتنار ، ١٩١٣ ؛ وقد ترجم هذه الرسالة فيما بعد إلى

العربية شاه ولي الله دهلوي ، وأضاف إليها مقدمة تحدث فيها

عن التيارات الدينية في بلاط أكبر ، وعن نشاط السيد أحمد)

= المبدع والمعاد ، دلهي ١٣١١ هـ .

= مكتوبات أحمد سرهندي (بالفارسية ، نحو ٥٥٠ رسالة)

طُبعت أكثر من مرة في الهند ، لكتنار ١٩١٣ ؛ دلهي ١٢٨٨

و ١٢٩٠ هـ ؛ امرتسر ١٣٣١ - ١٣٣٤ هـ .

الشيال (جمال الدين)

= الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي :

الجزء الأول : الهند والجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

الجزء الثاني : مصر والشام ، القاهرة ١٩٥٨ م .

صبري (مصطفى)

= مواقف العقل والعلم ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٠ م .

الصعيدى (عبد المتعال)

= المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر .

الكتاني (عبد الحى)

= فهرس الفهارس والأبواب ، ومعجم المعاجم والمشيخات
والمجلدات ، جزءان ، المطبعة الجديدة بفاس ١٣٤٦-١٣٤٧ هـ .

مؤنس (حسين)

= الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٣٨ .

ب - المراجع غير العربية

Ahmad (Burham)

- The Mudjaddid's Conception of Tawhid, Lahore 1940.

Ahmad (Zubaid)

- The contribution of India to Arabic Literature.

Amir Ali

- Spirit of Islam.

Arnold (Th.)

- The Preaching of Islam.

Badaoni (Abdul Qadir)

- Muntakhib-ut-Tawarikh (an English translation by :
Ranking & Rowe), Calkatta 1868.

Bayler (Sir Edward Clive)

- The History of India as told by its own Historians.
The Local Muhammadan Dynasties, Gujarat, London 1886.

Beveridge (Henry)

- Memoirs of Jahangir, translated into English by
Alexander Rogers.

Blockmann (Henry)

- The Ain-i-Akbari of Abul Fazl Allami, Calcutta, 1873.

Briggs (John)

- History of the Rise of the Mahomedan Power in India
till the year A. D. 1612. Translated from the Original
Persian of Mahmoud Kasim Firishta, 4 vols. Calcutta 1910.

Brockelmann (Carl)

- Geschichte der Arabischen Litteratur. Leiden, 1898-1939.

Brown (Ed. G.)

- A Literary History of Persia. 2 vols. London 1906-9.

Chand (Tara)

- Influence of Islam on Indian Culture. Allahabad, 1954.

Cunningham (Joseph Davy)

- History of the Sikhs. Edited by Garrett Oxford, 1918.

Danvers (Frederick Charles)

- The Portuguese in India, being a History of the Rise and Decline of their Eastern Empire. 2 vols. London 1894.

D'Ohsson (De M.)

- Histoire des Mongols. 4 vols. Paris, 1834.

Dorn (Benhard)

- History of the Afghans. Translation of the Makhzan-i-Afghan. London, 1820.

Edward (and Garrett)

- Mughal Rule in India.

Edward (S. M.)

- Babur : Diarist and Despot. London (No. Date).

Elliot (Henry)

- The History of India as told by its own Historians. The Muhammadan Period. Edited by John Dawson. 8 vols. London, 867.

Eriskine (William)

- A History of India under the two first Sovereigns of the House of Taimur, Baber and Humayun. 2 vols. London, 1854.

Gibb (H. A. R.)

- Mohammadanism, London 1950.
- Modern Trends in Islam.
- Ibn Batuta's Travels in Asia and Africa (1325 - 1334).
Translated and selected, Broadway Traveller, London 1929.

Guillaume (Alfred)

- Islam. Edinburgh, 1954.

Habib (Muhamad)

- Mahmud of Ghaznin. Bombay 1927

Haig (Sir Wolseley)

- Cambridge History of India, III, Cambridge, 1928.

Hidayat (Husain)

- Shah Wali Ullah (art. in : Journal of the Asiatic
Socie'y of Bengal, 1912)

Howorth (Henry)

- History of the Mongols. 4 Parts. London, 1840

Hunter (W. W.)

- The Indian Musalmans. London 1871.

Husain (Agha Mahdi)

- Le Gouvernement du Sultanat de Delhi (Etude Critique
d'Ibn Battuta et des Historiens du 14e Siècle).

Husain (Waheed)

- Administration of Justice during Muslim Rule in
India. Calcutta University, 1934,

Ibn Batuta

- Voyages d'Ibn Batuta. Texte Arabe. Accompagnée

d'une traduction par C. Defremery et B.R. Sanguinetti:
4 tomes. Paris, 1914.

Inayatulla (Sh.)

- Ahmad Sirhindi (Art. in : Ency. Islam, new edition).

Jadunath (Sarkar)

- The Fall of the Mughal Empire.
- History of Aurangzeb (5. Vols.).
- Mughal Administration.
- History of Aurangzeb, based on Original Sources. 4 vols.
Calcutta, 1920.
- Studies in Mughal India. Calcutta, 1919.

Jaffar (S. M.)

- The Mughal Empire from Babar to Aurangzeb.
Lahor, 1936.
- Medieval India.
- Education in Muslim India.
- Some Cultural Aspects of Muslim Rule in India.

Jain (A. C.)

- A visit to the City of Taj. Agra, Delhi, 1950.

Keen

- The Fall of the Mogul Empire.

Lane-Poole (Stanely)

- Aurangzeb (Rulers of India).
- Medieval India Under Mohammadan Rule. London 1925.

Law (Narendra Nath)

- Promotion of Learning in India under Muhammadan
Rule, London 1910.

Major (R. H.)

- India in the 15th Century. London, 1857.

Malleson (Col.)

- Akbar.

Moreland (W. H.)

- India at the Death of Akbar. An Economic Study.
London, 1920.

Mazim (Muhammad)

- The Life and Time of Sultan Mahmud of Ghazna. Cambridge University Press, 1931.

Pakistan History Board

- A Short History of Hind-Pakistan. Karachi, 1955.

Prasad (Ishwari)

- History of Medieval India. Allahabad, 1952.

Ranking George & Lowe, W. H.

- Al Badaoni: A translation of Badaoni's Mu'takhal-ut-Tawarikh. 3 vols. Calcutta 1898.

Ronade

- Rise of Maratha Power.

Ross (Denison)

- An Arabic History of Gujarat. Translation of Haji-ud-Debir's « Zafar-ul-Walih bi Muzaffar Alih ». 2 vols.
London, 1921.
- Jahanger and the Jesuits (edited by Sir E. Denison Ross and Eileen Power), London, 1930.

Sindhi ('Obaid - Ullah)

- Shah Wali - Ullah and his Political Movement

(Sindh-Sagar Academy. Lahore 1944).

Smith (Vincent A.)

- Oxford History of India. Oxford, 1920.
- Akbar, the great Moghul.

Smith (Wilfred Cantwell)

- Modern Islam in India. London 1946.

Titus (M)

- Indian Islam. London 1930.

Whiteaway (R. S.)

- The Rise of Portuguese Power in India (1497-1570).
Westminster, 1899.

Yule (Colonel Henry)

- Travels of Marco Polo. 2 vols.

الفهارس

- أولاً : فهرس الموضوعات .
- ثانياً : فهرس الصور .
- ثالثاً : فهرس الخرائط .
- رابعاً : فهرس المراجع .

أولا : فهرس الموضوعات

الصفحات	
٣ - ٤	تقدمة
٧ - ١٨	المقدمة :
	١ - العالم الإسلامى بين قوى ثلاث (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر)
٧ - ٨	ب - دخول الإسلام الهند وانتشاره بها :
٩ - ١٨	١ - الفتح الأول على يد محمد بن القاسم الثقفى
٩ - ١٤	٢ - الفتح الثانى على يد محمود الغزنوى
١٨ - ١٤	الفصل الأول : ظهور الدين محمد بابر :
١٩ - ٤٢	نشأته الأولى
٢٠ - ٢٢	محاولاته الأولى لفتح الهند
٢٢ - ٢٣	الحالة فى الهند قبيل فتح بابر
٢٣	فتح الهند
٢٤	الصعوبات التى واجهته :
٢٤ - ٣٠	— الأفغان والراجبوت
٢٤ - ٢٦	— حروبه مع الراجبوت :
٢٧ - ٢٨	× موقعة خانواه سنة ١٥٢٧
٢٨	× خطاب بابر لقواده وجنده
٢٨ - ٢٩	× هزيمة راناسانغاومصير حلف الراجبوت
٢٩ - ٣٠	× معركة تشانورى

الصفحات

٣٠	× هزيمة الأفغان
٣٢ — ٣٠	اتساع إمبراطورية بابر في الهند
٣٢	وفاة بابر
٣٤ — ٣٢	سياسته وإدارته
٣٦ — ٣٤	وصف بابر للهند
٣٦	مذكرات بابر
٤٠ — ٣٧	مظاهر الحضارة في عصره :
٣٧	— الفنون الجميلة
٣٧	— العمارة
٣٨	— الشعر
٣٩	— التصوير
٣٩	— الموسيقى
٣٩	— فن توضيح الكتب بالصور
٤٠ — ٣٩	— فن تنسيق الحدائق
٤٠	— الشهرة الأدبية
٤٢ — ٤١	الرأي في بابر
٦٠ — ٤٤	الفصل الثاني : ناصر الدين محمد همايون :
٤٤	تقدمة
٤٥ — ٤٤	تقسيم الإمبراطورية
٤٦ — ٤٥	الحالة السياسية في الهند وموقف همايون
٤٦	كامران يستولى على البنجاب

الصفحات	
٤٦ — ٤٨	القتال مع بهادر شاه في جوجرات
٤٨ — ٤٩	القتال مع شيرشاه أفغان
٤٩ — ٥٠	همايون في المنفى
٥٠ — ٥١	همايون في بلاد فارس
٥١	همايون يستعيد كابل وقندهار من أخيه كامران
٥١ — ٥٢	عودة همايون إلى ملكه في الهند
٥٢ — ٥٨	مآثر همايون :
٥٣ — ٥٤	— الأعمال البارعة
٥٤	— الإدارة
٥٤ — ٥٥	— طبل العدالة
٥٥ — ٥٦	— تصنيف الشعب
٥٦ — ٥٧	— تحديد مواعيد التشریفات
٥٧	— فقهاء البلاط
٥٧ — ٥٨	— حب همايون للكتبات
٥٨	— تقدم التعليم
٥٨	— الحدائق
٥٨	— عقيدة همايون الدينية
٦٠	همايون في الميزان
٦١ — ٧٨	الفصل الثالث : عودة الافغان إلى الحكم ، شيرشاه وخلفاؤه :
٦١ — ٦٢	حياة شيرشاه
٦٢ — ٦٦	جموده الأولى :

الصفحات

٦٣	— الاستيلاء على البنغال
٦٣	— همايون يستعيد البنغال
٦٣	— موقعة تشوسا
٦٤	— هزيمة همايون وفراره
٦٤	— ضم البنجاب وأراضي الجنخار
٦٤	— فتح مالوا
٦٦	— فتوحه في راجبوتانا
٦٦ — ٧٣	سياسة شيرشاه الإصلاحية :
٦٦ — ٦٧	— التقسيمات الإدارية للإمبراطورية
٦٧ — ٦٨	— نظام الخراج
٦٨	— إدارة العدل
٦٨ — ٦٩	— تنظيم قوى الأمن والبوليس
٦٩	— إدارة الخبايا
٦٩	— نظام الضرائب
٧٠	— وسائل المواصلات
٧٠ — ٧١	— نظام البريد
٧١ — ٧٢	— الإصلاحات الحربية
٧٢	— إصلاح النقد
٧٢	— المنشآت العامة
٧٣	— العمارة
٧٣	المثل التي كان يستهدفها شيرشاه في حكمه

الصفحات

٧٥ — ٧٤	الرأى فى شير شاه
٧٨ — ٧٦	خلفاء شير شاه :
٧٨ — ٧٦	— سليم شاه :
٧٧ — ٧٦	× إخناع مالوا والبنجاب
٧٧	× شميخ علاى
٧٨ — ٧٧	× حكومة سليم شاه
٧٨	— محمد عادل شاه
٩٤ — ٧٩	الفصل الرابع : جلال الدين محمد أكبر :
٨٠ — ٧٩	حياة أكبر الاولى
٨٠	تولى أكبر العرش
	الحالة السياسية فى الهند عندما تولى أكبر
٨١ — ٨٠	العرش فى سنة ١٥٥٦
	الصراع مع هوو ومعركة بانيبات الثانية
٨٣ — ٨٢	سنة ١٥٥٦
٨٣	تتائج المعركة
	إخضاع المطالبين بالملك من أسرة سور ،
٨٣	ونهاية الأسرة
٨٧ — ٨٤	النزاع بين أكبر وبيرم خان
	موقف أكبر من رجال الخاشية ونساء القصر
٨٨	ثورة خان زمان
٨٩ — ٨٨	ثورة آدم خان

الصفحات	
٨٩ — ٩١	أكبر والراجبوت :
٨٩ — ٩٠	١ - أحلاف الزواج
	٢ - إباحة المناصب الكبيرة للراجبوت
٩٠	وبقية الخنود
٩٠	٣ - حرية العقيدة
٩٠ — ٩١	٤ - الإصلاحات الاجتماعية
٩١	٥ - أثر هذه السياسة
٩١ — ٩٤	أكبر والبرتغاليون :
٩١ — ٩٢	— الإرسالية الأولى
٩٢	— الإرسالية الثانية
٩٢	— الإرسالية الثالثة
٩٤	أغراض أكبر
٩٥ — ١٠٨	الفصل الخامس : جلال الدين محمد أكبر :
٩٥ — ١٠٦	الفتوحات الإقليمية :
٩٥ — ٩٩	— الفترة الأولى :
٩٥ — ٩٦	١ - جندوانا
٩٦	٢ - مسوار
٩٦ — ٩٨	٣ - جوجرات
٩٨	٤ - البنغال
٩٩	٥ - كابل
	— الفترة الثانية (سياسة أكبر في إقليم

الصفحات

١٠٠—١٠٢	الحدود الشمالية الغربية :
١٠٠—١٠١	٦ - كشمير
١٠١ ١٠٢	٧ - السند وبلوختان
١٠٢	٨ - قندهار
١٠٢—١٠٤	— الفترة الثالثة (معركة الدكن) :
١٠٢—١٠٤	٩ - أحمد نجار
١٠٤	١٠ - خاندش

حدود الإمبراطورية المغولية في

١٠٤—١٠٦	عهد أكبر
١٠٦—١٠٨	الأيام الأخيرة في حياة أكبر
١٠٩—١١٦	الفصل السادس : أكبر والدين الإلهي :
١٠٩—١١٠	أكبر الحاكم المتدين
١١٠—١١١	عبادة خاتنه والتمهيد لإعلان الدين الإلهي
١١١—١١٢	إعلان الدين الإلهي
١١٢—١١٦	الدين الإلهي بين مؤيديه ومعارضيه

الفصل السابع : أحمد سرهندي :

١١٧—١٢٣	حياته الأولى
١١٨—١١٩	أحمد سرهندي وجهانجير
١١٩—١٢٠	نجاح حركة السيد أحمد التجديدي
١٢٠	مؤلفات السيد أحمد المجددي
١٢١	السيد أحمد مجدد الألف الثانية

الصفحات

١٢٢	وفاته
١٢٢	الجدید فی طریقہ الشیخ أحمد
	جهود الشیخ أحمد فی إصلاح المجتمع
١٢٢-١٢٣	الإسلامی فی الهند .
١٢٤-١٣٦	الفصل الثامن : نور الدین محمد جهانگیر :
١٢٤-١٢٦	ثورة الأمير خسرو وموته
١٢٦-١٣٠	أعماله الحربية :
١٢٦	١ - البنغال
١٢٦-١٢٨	٢ - موار
١٢٨	٣ - قندهار
١٢٨-١٣٠	٤ - الدکن
١٣٣-١٣٦	نور جهان
١٣٧-١٤٩	الفصل التاسع : شهاب الدین محمد شاه جهان :
١٣٨-١٤٠	شاه جهان والبرتغاليون
١٤٠-١٤٤	الإمبراطورة ممتاز محل
١٤٤-١٤٦	سیاسة شاه جهان فی إقليم الدکن
١٤٦	سیاسة شاه جهان فی أواسط آسيا
١٤٦-١٤٧	الامير أورنجزيب حاکم الدکن
١٤٧	ولاية أورنجزيب الثانية علی الدکن
١٤٨-١٤٩	الصراع حول العرش

المفحات	
١٥٠ - ١٦٦	الفصل العاشر : محي الدين محمد أوردنجيز ، عالم جبر :
١٥٢ - ١٥٠	ولايته للعرش
١٥٤ - ١٥٢	أعماله الأولى
١٥٦ - ١٥٤	مرض أوردنجيز ومحاولة عزله
١٥٧ - ١٥٦	فتح أسام
١٥٨ - ١٥٧	تأديب القراصنة البرتغاليين
١٦٠ - ١٥٨	أوردنجيز والمراثا
١٦١ - ١٦٠	جولكندا
١٦١	بيجاپور
١٦٢	أوردنجيز والانجليز
١٦٦ - ١٦٢	أوردنجيز ، شخصيته وسياسته

ثانيا : فهرس الصور

٢١	١ - الأباطرة الأربعة الكبار : بابر ، وهمايون ، وأكبر ، وجهانجير
٢٥	٢ - بابر بادشاه
٣١	٣ - ظهير الدين محمد بابر (في شبابه)
٤٣	٤ - قبر بابر - مدينة كابل
٥٩	٥ - ضريح همايون في دلهي
٩٣	٦ - عملات ذهبية باسم أكبر

الصفحات

- ۷ - بوابة ضريح أكبر - أجرا ۱۰۷
۸ - جهانبگیر ۱۲۵
۹ - جهانبگیر محل - قلعة أجرا ۱۲۷
۱۰ - شاهجهان (فی شبابه) ۱۲۹
۱۱ - دیوانی عام - قلعة أجرا ۱۳۱
۱۲ - ضريح جهانبگیر - لاهور ۱۳۵
۱۳ - شاه جهان ۱۳۹
۱۴ - ممتاز محل ۱۴۱
۱۵ - تاج محل - أجرا ۱۴۳
۱۶ - تاج محل - أجرا ۱۴۵
۱۷ - اورنجزیب ۱۵۱
۱۸ - مسجد بادشاه ، بناء الإمبراطور
اورنجزیب فی لاهور ۱۵۳
۱۹ - بهادر شاه - آخر أباطرة المغول ۱۶۳

ثالثا : فهرس الخرائط

المنحآت

- | | |
|-----|------------------------------------|
| ٦٥ | ١ - إمبراطورية شيرشاه سنة ١٥٤٠ م |
| ١٠٣ | ٢ - إمبراطورية أكبر سنة ١٦٠٥ م |
| ١٥٥ | ٣ - إمبراطورية عالم جير سنة ١٧٠٠ م |

رابعا : فهرس المراجع

١٦٩-١٦٧

المراجع العربية

١٧٥-١٧٠

المراجع غير العربية

٢٠٠٠ / ١٨٢٦٤	رقم الايداع
977-341-011-0	الترقيم الدولي

